Fax : 0522-330020
RNI No.(U.P. ARA/2000/2041)
Regd. No. LW-NP/64/2001
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Issue-6)
April 2001
(Monthly)

هدية عدد خاص :

رحلات العلامة

أبي الحسن علي الحسني الندوي

مشاهداته - محاضراته - لقاءاته - إنطباعاته

قدمها وزينها وعلق عليها

السيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

Printed and Published by AT HAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) Nadwatul

شعارنا التوحيد
الى الإسلام من جديد

المجلد ٣
٤٦

البعث الإسلامي

العدد السابع | مجلة اسلامية شهرية جامعة | ربيع الأول ١٤٢٢ هـ

المجلد السادس والأربعون

في هذا العدد

الأمة العربية .. هي أمة الدعوة والتضحية والإيثار
الأحرف السبعة للقرآن الكريم
التفاعل مع النفس والإنسان
نبي الرحمة .. وازدواجية العقيدة والشريعة
الرحمة في الإسلام
الزفاف وآدابه
حول إشكاليات النقد التطبيقي لدى أدباء "الإسلامية"
قابل طفلك
الترجمة .. ومشكلاتها
أسلوب سماحة العلامة الندوي
الثوابت والمتغيرات في منطق الحضاريين

تصدرها : مؤسسة الصحافة و النشر

أنشأها
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السادس
والأربعون

العدد السابع
ربيع الأول ١٤٢٢هـ
يوليو ٢٠٠١م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد
في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين
زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد
في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم
واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته
ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة
هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة
من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار :
﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾
(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

وبعد ! فأحمد اللّه سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من اللّه سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق اللّه ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

واللّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية
ثمن النسخة : ١٥/روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٠/دولاراً بالبريد السطحي
و
٣٦/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

من أقوال الإمام الندوي:

★ الأمة العربية .. هي أمة الدعوة والتضحية والإيثار — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) — ٣

الافتتاحية:

★ نبي الرحمة .. وازدواجية العقيدة والشريعة — سعيد الأعظمي الندوي — ٤

التوجيه الإسلامي:

★ الأحرف السبعة للقرآن الكريم (دراسة عميقة متزنة) — فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني — ٨
★ التفاعل مع النفس والإنسان — د/أحمد عبد الرحيم السايح — ١٢
★ الإسلام والأمن في المجتمع الإنساني — د.أ.ن.م. رئيس الدين — ١٩

الدعوة الإسلامية:

★ الرحمة في الإسلام — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٣٣
★ الزفاف و آدابـــه — د/محمد بن سعد الشويعر — ٤٣

في النقد و الأدب:

★ حول إشكاليات النقد التطبيقي لدى أدباء "الإسلامية" — أ.د/عماد الدين خليل — ٥٢
★ تـــابل طفلك — الأستاذ أنيس جشتي (بونا) — ٦١

دراسات و أبحاث:

★ الترجمة .. ومشكلاتها — د/محمد السيد علي بلاسي — ٧٠
★ أسلوب سماحة العلامة الندوي في تدبر القرآن الكريم — الشيخ عبد الرحمن الملي الندوي — ٨٧

صور و أوضاع:

★ الثوابت والمتغيرات في منطق الحضاريين — الأستاذ واضح رشيد الندوي — ٩٢

بيان صحفي من وزارة المالية والاقتصاد الوطني (المملكة العربية السعودية)

★ دور المملكة العربية السعودية في مساندة الشعب الفلسطيني

إصدارات جديدة:

★ ١- رسول الأخلاق والإنسانية — قلم التحرير — ٩٩
★ ٢- الإعلام الغربي وآثاره — ١٠٠

★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

★الإمام الندوي يقول :

الأمة العربية .. هي أمة الدعوة والتضحية والإيثار

علم الله عند بعثة الرسول الحبيب ﷺ أن الروم والفرس والأمم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر ، وتتحمل المتاعب والمصاعب في سبيل الدعوة والجهاد ، وخدمة الإنسانية البائسة ، ولا تستطيع أن تضحي بشئ من دقائق مدنيتها وتأنقاتها في الملبس والمأكل ، و أن تتنزل عن حظوظها و لذاتها و زخارفها فضلاً عن حاجاتها ، وأنه لا يوجد فيها أفراد يقوون على قهر شهواتهم ، و الحد من طموحهم ، و الزهد في فضول الحياة ، ومطامع الدنيا، والقناعة بالكفاف ، فاختار لرسالة الإسلام وصحبة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة والجهاد وتقوى على التضحية والإيثار، تلك هي الأمة العربية القوية السليمة التي لم تبتلعها المدنية ، ولم ينخرها البذخ والترف ، وأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر الناس قلوباً ، وأعمقهم علماً ، وأقلهم تكلفاً .

سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

★ ★ ★

الافتتاحية :

نبي الرحمة
وازدواجية العقيدة والشريعة

كانت مساحة الرحمة فوق ما يستطيع أن يتصوره العقل البشري ، يوم أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، ومنّ بذلك على العالم البشري الذي كان بأمسّ حاجة إلى رحمة شاملة تنتشله من ذلك الشقاء الكبير الذي يعيشه كل جزء من أجزاء الحياة والمجتمع ، شملت هذه الرحمة جميع الكائنات ، وأنقذتها من التردّي الذي كان لها قدراً محتوماً ، لقد كانت الحياة تسير على الدرب القديم ، ولم يقض الله تعالى أن يغيّر الأوضاع الشاذة بوضع طبيعي ثابت ، إلا بواسطة نبي الرحمة ، فقد كانت الحياة تئنّ تحت وطأة عقليات ضيقة من عبادة الأوثان ، وبناء صروح الفخر والعزة الكاذبة على أسس زائفة كانت منطلق أدواء خلقية لا أرجاء لها ، توجهت رحمة النبي الحبيب ﷺ إلى إصلاح الحياة الاجتماعية ، واستبدال الوحدات الطائفية والقبلية بوحدة الأخوة العالمية الإيمانية التي جاء بها الإسلام كنعمة وارفة الظلال لإنقاذ الإنسانية من شمس العصبيات المتوهجة ، وإيجاد الشعور بكرامة الإنسان ، وعظم مكانته ، ودوره في الكون .

فليس إنسان اليوم كشأنه في الجاهلية الأولى التي ضيقت عليه آفاق الحياة ، وقيدته بين طقوس وعادات ، من غير شعور بما أفاض الله عليه من نعمة الحب والعبودية الخالصة لله تعالى ، إنما هو الإنسان المسلم ، المؤمن بوحدانية الله سبحانه ، والملتجئ إلى شريعة الإسلام ، وكنف الإيمان حيث ترك كل ما صدر منه في سابق أيامه من الرذائل ، والشركيات التي

سدت عليه جميع منافذ النور والهداية ، إنه الإنسان المهتدي إلى طريق الله تعالى ، والنادم على ما فرط منه من أمور لم تكن تمت إلى الإنسانية بأيّ صلة ، فهذا جعفر بن أبي طالب ﷺ ، يشرح الجوانب المظلمة التي كان يعيشها الإنسان الجاهلي ، أمام النجاشي ملك الحبشة ، يوم بعثت قريش وفدها لاسترداد المهاجرين إلى الحبشة الذين كانوا عنده بخير دار، عند خير جار ، يقول :

"أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد ، نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرَّحم ، وحُسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، قالت : فعدّد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعَدا علينا قومُنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك ، أيها الملك !" . [سيرة ابن هشام : ج/١]

هذا أول بيان يدلي به رجل اهتدى إلى الإسلام في تاريخه المبكر ، وشملته رحمة الله تعالى عن طريق نبيه ﷺ ، وضح فيه ذلك الانقلاب العظيم ، الذي منح العالم البشري حق البقاء ، وخلع عليه لباس السعادة والهناء ، فكأنه وُلد من جديد ، وازدهرت فيه عبادة الله تعالى ، وجاء الحق وزهق الباطل ، وتبددت ظلمات الجهل والشرك ، وتنفس الإنسان في عالم مفتوح طبيعي ، وقدم ضريبة العبودية والطاعة إلى من هو أحق بهما ، هذه هي الصورة الحقيقية التي صوّرها رجل عاش الجاهلية ، واكتوى بنارها ، ثم انتقل إلى الإسلام ، و وجد فيه ضالته .

إنها أعظم منة لنبي الرحمة على الإنسان الجاهلي ، إنها نقلة تاريخية من الظلام والجهل والغواية ، إلى النور ، والعلم ، والهداية ، لا يوجد لها نظير في تاريخ الديانات والحركات الإصلاحية ، والدعوات الإنسانية ، كانت منطلقاً لصناعة الإنسان الواقعي الطبيعي ، الواعي لمهمته التي خلقه الله سبحانه من أجلها ، وتكريم مكانته ، وتفضيله على جميع الخلق ، كما بينه سبحانه في كتابه العظيم ، فقال : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم * وحملناهم في البرّ والبحر * ورزقناهم من الطيبات * وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ وقد تكاثر هذا الجيل البشري الذي كان من صناعة الإسلام ، وتربية النبي الكريم عليه الصلاة والسلام حتى ملأ العالم كله شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً بالإيمان واليقين ، وعرف التاريخ البشري لأول مرة هذا النموذج العالي الكريم من الإنسان المؤمن المحب لله ولرسوله ، المستهين بالحياة في سبيله ، والمسارع إلى الجنة بكل ما يملكه ، واكتفي بأن أسوق إليكم الآن نموذجاً من إنسان هذا النوع الفريد .

"ففي يوم بدر نادى رسول الله ﷺ قائلاً : قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، فقال عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله : جنة عرضها السماوات والأرض ، قال : نعم ، فقال : بخ بخ ، قال فقال رسول الله ﷺ : ما يحملك على قولك : بخ بخ ؟ قال : لا ، والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال : فإنك من أهلها ، فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل" .

هذا ، وهناك منة أخرى كبيرة على جنس الأنثى ، وهي نتيجة تلك الرحمة التي أرسل بها رسول الرحمة ، فقد كان هذا الجنس مهاناً مكروهاً أشد الكراهية ، في المجتمع الجاهلي الذي سبق الإسلام ، كان هذا الجنس هدفاً لكل ظلم ، وحيف ، وحرمان ، لم يكن له نصيب في الإرث ، ولاحظ في المال والمتاع ، كان كلا على الأسرة وحتى على الأبوين ، وكان يباع كما تباع المبيعات ، وتسخر لكل غرض خسيس ، ولكل رذيلة ، حتى إن الناس كانوا لا يتحملون أن يسمعوا خبراً بولادة البنت ، وإذا تولدت فيئدونها من غير رحمة ، و

يدسونها في التراب بكل قساوة ، وذلك ما تحدث عنه القرآن الكريم بصراحة وتأسف : ﴿ و إذا بُشّر أحدهم بالأنثى * ظلّ وجهه مسوداً * و هو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به * أيمسكه على هون * أم يدسّه في التراب * ألا ساء ما يحكمون ﴾ .

أخرج رسول الله ﷺ هذا الجنس الغالي من حصار الوأد والدس ، والذل والكراهية ، والظلم،إلى ساحة العز والكرامة الواسعة ، ونقله من انحراف العقيدة إلى موضع الاعتراف بحقية القدرة الإلهية التي عمرت هذا الكون بالجمع بين الذكر والأنثى ، وجعلت لكل واحد منهما مكانتهما الرفيعة في الحياة ، ودورهما المرتقب في عمارة هذا العالم ، ولقد قرنه الله سبحانه مع الذكر في جميع العبادات والطاعات ، وما يتعلق بها من الأعمال الفردية والجماعية ، فقال عزّ من قائل : ﴿ مَن عمل صالحاً من ذكر وأنثى * وهو مؤمن * فلنحيينّه حياة طيبة * ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ وقال : ﴿ فاستجاب لهم ربهم * أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى * بعضكم من بعض ﴾ .

هذا غيض من فيض ذلك البحر المواج للرحمة التي جاء بها رسول الله ﷺ للعالمين ، و ردّ بذلك اعتبار الإنسانية ، ورفع قيمتها ، فقد كانت تلفظ نفسها الأخير في جميع أنحاء العالم ، في الجزيرة العربية ، وفي مصر والشام ، وفي اليونان والرومان ، وفي الهند وإيران ، والصين واليابان ، ومن خلال هذه الرحمة ، نبعت حضارة العقيدة والإيمان ، الحضارة الإسلامية ، التي تضاءلت وضؤلت أمامها جميع الحضارات الإنسانية التي فشلت في إنقاذ سفينة الحياة ، وخابت في قيادة العالم في جميع المجالات .

الفرصة لا تزال سانحة أمام حملة لواء العلوم والحضارات ، والفلسفات الإنسانية لكي يدرسوا من جديد منة الإسلام على الإنسان والحياة والكائنات كلها ودوره المشرف في بناء العالم الإنساني ، ورفع صرح العلم والإيمان ، والعقيدة والسلوك ، في جميع الأزمنة والأمكنة .

سعيد الأعظمي

١٤٢٢/١/١٦هـ

التوجيه الإسلامي :

الأحرف السبعة للقرآن الكريم

(دراسة عميقة متزنة)

[٧/الأخيرة]

بقلم : فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني
ترجمة : الأستاذ محمد أسجد الندوي

★ موجز البحث ومغزاه :

قد طال الكلام كثيراً ، حول : الأحرف السبعة ، ولذا يتراءى لنا أن نقدم إلى القراء الكرام عصارة البحث ومغزاه ، لكي لا يتعقد حفظه ، بل يتيسر ضبطه ودراسته .

١- إن الرسول الأعظم ﷺ طلب ودعا ربه للتكثير في طرق تلاوة القرآن الكريم ، وعدم حصرها في طريق واحد تيسيراً للأمة ، ولذا نزل القرآن على سبعة أحرف .

٢- التفسير الأصوب الأرجح للنزول على الأحرف السبعة ، هو اختلاف الكيفيات السبعة في قراءة القرآن الكريم وتلاوته ، ولذا نرى قراءات كثيرة .

٣- وكان نوع الخلاف في الكلمات والمرادفات من هذه الأوجه السبعة أعم وأروج في بدء الإسلام ، فتوجد كلمة في قراءة وكلمة أخرى مرادفها في قراءة أخرى كثيراً ، ولكن لما تعود العرب لسان القرآن العذب بدأ هذا النوع ينخفض وينتقص رويداً رويداً ، حتى لما وقعت العرضة الأخيرة أُلغِي كثيرٌ من خلافات هذا النوع ، ولم تبق إلا خلافات تكوين الصيغ ، والتذكير ، والتأنيث ، والإفراد ، والجمع ، والمعروف ، والمجهول ، واللهجات فقط .

٤- جمع سيدنا عثمان ﷺ جميع الخلافات التي كانت استبقيت عند العرضة الأخيرة في مصاحفه ، بحيث لم يستكتب الحركات الإعرابية والنقط ، فوسعت مصاحفه جلّ خلافات القراءات ، والقراءات التي لم تنضم في مصحف أبداها وجمعها في مصحف آخر ، ولذا نرى الاختلاف لكلمة أو كلمتين في المصاحف العثمانية في بعض الأماكن .

٥- استكتب سيدنا عثمان ﷺ سبعة مصاحف ، و رتّب السور فيها ، مع أن سيدنا أبا بكر ﷺ لم يرتب السور في صحفه ، وحدّد عثمان ﷺ خطاً معلوماً للقرآن الكريم ، وأحرق جميع المصاحف المخالفة لترتيب مصاحفه وخطّها ، لكي لا يتّسع أيّ مجال للنزاع والخلاف .

٦- كان ترتيب مصحف ابن مسعود ﷺ مختلفاً كثيراً عن ترتيب المصاحف العثمانية ، وكان ابن مسعود ﷺ يحرص على إبقاء مصحفه وترتيبه ، ولذا لن يمكّن عثمان ﷺ على إحراق وإبادة مصحفه .

★ حقيقة اختلاف العلماء في الأحرف السبعة ! إزالة سوء التفاهم :

من اللازم في آخر البحث أن نزيل سوء التفاهم الأساسي الذي تعرض لكثير من الناس ، وهو أن الدارس لهذا البحث المتعلق بالأحرف السبعة بالإشارة الخاطفة يمكن أن يقع ويتورّط في شباك هذه الشبهة ، وهي أن هذا الاختلاف الهائل ، كيف حدث بين المسلمين في الكتاب الحكيم الأصيل ، الذي ما زال ولا يزال مصوناً سالماً باقياً من أول يومه إلى يومنا هذا بدون أيّ ترميم وتغيير وانحراف مع أن الله قد تكفل بصيانته وحفاظته أبد الدّهر قائلاً : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر * وإنا له لحافظون ﴾ فرغم ذلك كله لماذا وقع هذا الخلاف الكبير فيه ؟

ولكن إذا تعمّقنا النظر وتمعنا وقدحنا زناد فكرنا في الأقوال والآراء ، التي ذكرناها سابقاً لا نحلت المعضلة ، وانكشف الغطاء وانزاح الستار ، فمن يتذكر ويمعن نظره في حقيقة هذه الخلافات يعلم يقيناً أن كل هذه

الخلافات نظرية فكرية لا تؤثر شيئاً على صدق القرآن الكريم و واقعيته وحفاظته وصيانته ، كما كان عملياً ، فإن الجميع - بدون أي استثناء وامتياز - لا يزالون يجمعون ويتفقون على أن القرآن الكريم مصون مستبقى ، وصل إلينا بشكله ، و وصفه الأصيل ، متواتراً بدون أيّ شبهة وارتياب ، فلم يحدث أي تغيير فيه ، وكذا القراءات القرآنية التي وصلت إلينا متواترةً كلها صحيحة صائبة ، ويجوز تلاوة القرآن الكريم وفق كل واحد منها ، كما أجمعت الأمة على أن القراءات الشاذة المنقولة غير القراءات المتواترة ، لا يمكن أن تكون جزءً للقرآن الكريم ، والقراءات المنسوخة قبل العرضة الأخيرة أو بعدها لم تبق أيضاً جزءً للقرآن الحكيم ، كما صرح به الرسول الحبيب ﷺ ، وكذا اتفقت الأمة على أن الخلاف في الأحرف السبعة ليس إلا لفظياً فقط ، فالحروف كلها متحدة بمعانيها ومدلولاتها ، ولذا من تعلم القرآن الكريم وفق حرف أو قراءة واحدة لحصلت له موادّ القرآن ومحتوياتها جمعاء ، ولا يحتاج إلى معرفة الحرف الآخر لفهم توجيهات القرآن ، وإرشاداته ومعانيه ، وتعاليمه النيّرة ، ومما لا يتسع أيّ مجال للشك والريب فيه ، هو أن سيدنا عثمان ﷺ أعد وجمع ورتّب مصاحفه القرآنية بغاية من الحذر والحيطة والفحص والبحث على مرأى مئات من أصحاب الرسول الكريم ﷺ العدول الأبرار ، ومع تصديق الأمة الإسلامية كلها ، فاستكتب القرآن الكريم ، كما نزل على الرسول الحبيب ﷺ بدون أي ترميم وتحريف ، فلم يحدث أي خلاف وشك فيه لأحد (١) .

أما الخلاف الذي أطلقا في ذكره وقدمناه بكل شرح وبسط مع

(١) أما سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ ، فإنه وإن ألحّ على إبقاء مصحفه الخاص ، ولكنه لم يبد أيّ خلاف على المصاحف العثمانية فقط .

نصّه وفصّه في الصفحات السابقة يتعلق بتعيين معنى : "الأحرف السبعة" فقط ، بحيث إن القراءات المتواترة الموجودة تضمّ وتجمع الأحرف السبعة بأسرها أم تضم حرفاً واحداً فحسب ؟ فليس هذا الخلاف إلا نظرياً فكرياً، لا يؤدي إلى أيّ فارق علمي يتسبب للشكوك والشبهات في صحة القرآن الكريم ، فلقد وقع في غلط فاحش وعصيان كبير من رأى بأن القرآن أصبح مشكوكاً مختلفاً فيه غير موثوق بصحته و صيانته ، نظراً إلى هذه الخلافات .

ونظيره كتابٌ أجمع العالم كله على أن فلاناً صنفه وألفه ، ونسبة الكتاب إليه موثوق به ، والمؤلف نفسه قام بطبع الكتاب ، وصدّق بأنه هو الذي ألف الكتاب ، وسمح بطبعه للأبد ، وفق تلك النسخة ، ولكن حدث بعده خلاف بين الناس في أن المؤلف ، هل تصرف لفظياً في مسودة كتابه قبل طبعه أم لم يتصرف شيئاً ؟ فهذا الخلاف البسيط النظري - كما هو معلوم باهر- لا يتسبب لأيّ اختلاف وارتياب في تلك الحقيقة الحقة النيرة التي يعرفها ويجمع عليها الجميع ، بأن ذلك المصنف طبع كتابه على مسئولياته ، وعزاه إليه وسمح بطبعه بالانتساب إلى نفسه بصفة دائمة .

هكذا ؛ لما اتفقت وأجمعت الأمة كلها على أن القرآن الكريم مكتوب في المصاحف العثمانية وفق ما نزل على الرسول الأعظم ﷺ حرفاً حرفاً بدون أي تغيير أو تصرف فيه ، وأن جميع قراءاته المتواترة صحيح صائب منزل من الله جلّ وعلا .

إذن لا مجال . . . . - لأحد أن يشعر بأي ارتياب وشك في هذه الحقائق الثابتة التي لا تزول ، نظراً إلى الخلافات النظرية الفكرية التي وقعت بين العلماء وأصحاب التحقيق في تفسير الأحرف السبعة ، لأن الله جلّ وعلا ألقى مسئوليات حفاظه القرآن الكريم على نفسه ، فنعم ما قال :

﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر * وإنّا له لحافظون ﴾

التفاعل مع النفس والإنسان

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
(القاهرة)

جانب الوجدان في الإنسان ، ليس هو العاطفة وحدها ، ولكنه التفاعل مع النفس و الإنسان الآخر في مجتمعه ، و مجال الحياة الذي يعيش فيه .

إنه في الحقيقة إدراك الجمال والتعاطف معه ، وإدراك الحسن ، والعمل على أن يكون محسناً ، وإذا قيل الجمال ، فهو جمال السلوك ، وجمال القول ، وجمال الصنع ، وجمال العلاقات مع الغير ، وجمال الطبيعة .

واستهداف التربية القويمة ، والخلق الرضي ، والسلوك السوي ، والأدب الجم ، ورياضة النفس ، وتحليقها في أفق الكمال ، وارتقاؤها في مدارجه : غاية مثلى ، طالما فكر فيها ، وبحث عنها ، وعمل لها ، وسعى نحوها ، الحكماء والعلماء والباحثون ، والمعنيون بالعلوم الإنسانية ، وشئون النفس .

وإذا نصح الإسلام الإنسان في معاملته للغير ، وفي معاشرته للأسرة : أن يرعى حدود الروابط الإنسانية ، وأن يتبادل مع هذا الغير الشعور الإنساني الكريم .. إذا ما نصح الإسلام بذلك ، فإنما يعني أن يكون هناك تجاوب إنساني تستريح إليه النفوس ، وترضى عنه .

ومن أجل ذلك تهش في الداخل قبل أن تنبسط أسارير الوجه في الخارج عند اللقاء أو عند الحديث ، أو عند المشاركة في عمل ما ، فليس تجاوب النفوس أو رضاها وسرورها عند اللقاء أو عند الحديث ، أو عند

المشاركة في عمل ما إلا ظاهرة تعبر عن الإدراك النفسي الخفي لجمال الألفة ، وعاطفة الإنسانية .

لهذا كان الحلم فضيلة سامية ، وخلقاً رفيعاً ، وخلةً لازمةً ، لصفوة الله من خلقه وخيرته من عباده من أنبياء الله ورسله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

والإسلام دعوة إلى الرقي في كل شئ ، وليس أبعد عن حقيقة الإسلام من الانحطاط عموماً .. لأن الانحطاط يتجافى مع طبيعة الإسلام ، ويتنافى مع مقام الخلافة الذي بوأه الله للإنسان ، وسبيل السمو ، والارتقاء الخلقي ، والتماسك النفسي ، ولما كان (الحلم) هو حجر الزاوية في بناء الهيكل السليم ، فقد رضيه الإسلام خلقاً لأبنائه ، ودعاهم إليه ، ورغبهم فيه ، وجعله ركناً أساسياً في أركان بنائه .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم * وجنة عرضها السماوات و الأرض * أُعدت للمتقين * الذين يُنفقون في السرّاء و الضرّاء * و الكاظمين الغيظ * و العافين عن الناس * و الله يُحبّ المحسنين ﴾ .

إن الإسلام بما ينصح به الإنسان - كي ينمي وجدانه - يريد أن يعيش الإنسان في جو ، هو جوُّ الاطمئنان والاستمتاع بالحياة الإنسانية استمتاعاً يرفعها فوق مستوى الاحتكاك ، والخصومة والنفرة ، وتبادل الإيذاء .

إن المؤمن في نظر الإسلام هو المحسن ، والمحسن هو صاحب الوجدان الرفيع ، وهو صاحب الإنسانية في سلوكه مع نفسه ومع غيره ، وصاحب التقدير للطبيعة ، وما عليها .

و الحلم بالكسر الأناة و العقل ، و جمعه أحلام ، و قيل : الحلم هو

ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب .

وقوله تعالى : ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ ؛ معناه : عقولهم ، وليس الحلم في الحقيقة العقل ، لكن فسره العلماء بذلك لكونه من مسببات العقل .

وقال عليه الصلاة والسلام في صلاة الجماعة : "ليليني منكم أولو الأحلام والنهى" ، أي ذوو الألباب والعقول ، واحدها : "حلم" ، وكأنه من الحلم والأناة ، والتثبت في الأمور ، وذلك من شعار العقلاء .

ويقول صالح بن جناح اللخمي :

فإن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني
إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم
ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإنني مقوم
ومن شاء تعويجي فإني معوج

والحلم خلق العلية من الناس ، والأفاضل من البشر ، ولذا دعا إليه الإسلام ، ورغب فيه ، وحض عليه ، و وعد عليه بالجزاء ، والخير الأبقى ، والعفو العظيم ، في جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله تعالى لمن يضبطون أنفسهم ، ويملكون زمامهم ، ويسكون عواصفهم ، ويقتصدون في انفعالاتهم ، ويتحكمون في نزوعهم ، ولديهم القدرة على تصريف شحنات الغضب ، وكبت بواعثه ، وكبح جماحه ، وكفكفة شره ، والحد من غلوائه ، وإطفاء جمرته ، وتبديد دخانه ، وتبديل دوافعه من الانتقام إلى الحلم ، وتعديلها من المؤاخذة إلى الكظم والعفو .

و لذا لم يعرف الحلم إلا في أهل الحزم و الكياسة ، و ذوي النفوس

الكبيرة ، والطاقات الهائلة ، والآفاق الرحبة ، التي سرعان ما تتمزق في سمائها سحب الغضب ، وينقشع لتوه ضباب الانتقام ، وكدر اللجاجة ، فإذا هم بحلمهم يطاولون النجم رفعةً وسمواً ، ويضاهئون البحر صفاءً وطهراً .

وهناك أسباب باعثة على الحلم ، جد الباحثون في استنباطها ، واستخراجها لتكون منارة تضيئ أمام السالكين ، و ومضات مشرقة في الطريق .

والأول من هذه الأسباب : "الرحمة للجهال وإعذارهم ، وقد قيل في منثور الحكم : من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال" ، وقال أبو الدرداء ﷺ لرجل أسمعه شتائم : يا هذا لا تغرق في سبنا ، واجعل للصلح موضعاً ، فإنا لانكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عزّوجل فيه .

والثاني : القدرة على الانتصار ، وذلك من سعة الصدر ، وحسن الثقة ، وقد روي عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أنه قال : "إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه" .

والثالث : الترفع عن السباب ، وذلك من شرف النفس ، وعلو الهمة ، كما قال الحكماء : "شرف النفس أن تحمل المكاره ، كما تحمل المكارم" .

والرابع : الترفع عن المسئ ، ومما يذكر أن رجلاً شتم ابن هبيرة ، فأعرض ابن هبيرة عنه ، فقال له الرجل : إياك أعني ، فقال ابن هبيرة : وعنك أعرض ، وأكثر رجل من سب الأحنف ، هو لا يجيبه ، فقال الرجل : ما منعه من جوابي إلا هواني عليه واستحى ، وقال أحد الناس حين حرض على جواب من سبه :

أو كلما طن الذباب طردته
إن الذباب إذن على كريم

والخامس : الاستحياء من جزاء الجواب ، وهذا يكون من صيانة النفس ، وكمال المروءة ، ويقال في الحكمة : "احتمال السفيه خير من التحلى بصورته ، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته .

والسادس : الكرم وحسن التألف ، وقد قيل للإسكندر المقدوني : إن فلاناً وفلاناً ينقصانك ويصيبانك ، فلو عاقبتهما ، فقال : هما بعد العقوبة أعذر في تنقيصي وثلبي ، فكان هذا تفضلاً منه وتألفاً ، وحكي أن علي بن أبي طالب ﷺ ، قال لعامر بن مرة الزهري : من أحمق الناس ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس ، قال : صدقت ، فمن أعقل الناس ؟ قال : من لم يتجاوز الصمت عقوبة الجاهل .

والسابع : المكر ، وتوقع الفرص في المستقبل ، وهذا يكون من الدهاء ، فغضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله .

وبجانب هذه الأسباب توجد أسباب دينية لأن الحلم حقيقة من خلال الإيمان ، وصفات المؤمنين ، وما كان الإيمان في حياة الناس إلا ليضبط الفطرة فيهم ، ويعلي من شأنها ، فلا تتدلى إلى الحيوانية ، ولا تهبط إلى الدون .

و شأن المؤمن دائماً أن يكون حريصاً على معالي الأمور ، ومترفعاً عن سفاسفها ، و متعلقاً بأهداب الكمال ، ساعياً إلى إحرازها ، و الإنصاف بها .

وخلق الحلم في نفس المؤمن انعكاس طبيعي لإيمانه ، ودليل حيوي على مدى انتفاعه بهذا الإيمان ، وترجمته إلى الخلق ، وتجسيده في أسلوب وسلوك يتعامل به مع الناس ، ويكون هو المنهج الذي يحتكم إليه في تصرفاته معهم ، فإذا جهلوا عليه كان إيمانه مركز الإمداد والتوجيه ، والإشعاع الذي يملى عليه أسلوباً محدداً ، وسلوكاً خاصاً يفرض عليه

ضبط النفس ، ويلزمه بهدوء الأعصاب ، ريثما تمر العاصفة ، ثم لا يكون الحلم بعد رد الفعل الطبيعي لهذا الإيمان .

★ والأسباب الدينية الباعثة على الحلم تجدها في النقاط التالية :

١- أن يذكر الله تعالى عند الغضب ، فيدعوه ذلك إلى الخوف منه ، و يبعثه على الطاعة له ، فيرجع إلى أدبه ، فعند ذلك يزول الغضب ، قال تعالى : ﴿ واذكر ربّكَ إذا نسيت ﴾ [الكهف/٢٤] ، قال عكرمة : إذا غضبت .

٢- و منها أن يذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم ، و مذمة الانتقام ، قال الحكماء : الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم .

٣- ومنها أن يذكر ثواب الحلم فيقهر نفسه على الغضب رغبة في الجزاء والثواب وحذراً من استحقاق الذم والعقاب ، جاء في الأثر : "الخير في ثلاث خصال ، فمن كن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، وإذا قدر عفا" .

٤- ومنها أن يذكر انعطاف القلوب عليه ، ومحبة الناس له بالحلم والصفح ، فيكف عن متابعة الغضب رغبة في التأليف وجميل الثناء .

ولم يرغب الإسلام في الحلم ، ويدعو المسلمين للاعتصام بحبله ، والعيش في وارف ظله لمجرد أنه زينة نفس أو كمال خلق ، ولكن لأنه إرادة إيجابية لمكافحة الشر ، وتفادي الأزمات ، وإن أدوأ الداء ، وأنكى الأمراض تسرّع يحفز إلى الانتقام ، ويحجب منافذ الفكر ، ويقتل الحكمة ، وعند ذلك تكون القوة الجسمية أو السلطان سلاحاً بتاراً في يد مجنون تزهق به النفوس ، وتتطاير به الرؤوس دون ما وعي أو إدراك .

والحلم هو العلاج بل صمام الأمان الذي يحول القوة الجسمية والأدبية إلى سلاح مغمد في جرابه لا يستخدم إلا بتراً للبشر ، وتقليماً لأظافر الطغيان ، وكثيراً ما حفل تاريخ الأمة الإسلامية بنماذج اتصفت

بالحلم ، فنضرت وجه الإنسانية ، وغدوا في حياتهم معالم وضيئة ، ومثلاً رائداً ، بل كثيراً ما زادوا على الحلم ، وارتقوا فوقه ، وتخطوا مقامه إلى مقام الإحسان ، فكانوا لا يتوقفون عند مجرد الحلم على من جهلوا عليهم ، وإنما كانوا يحسنون إليهم ، ويمدون إليهم يد العون والمساعدة رغبة في استلال سخيتهم ، وهذا بطبيعة الحال أوج لا يعيش فيه ، ولا يرقى إليه إلا من رباه الإيمان ، وهذبه الوحي ، قال تعالى في سورة فصلت : ﴿ ولا تستوي الحسنة * ولا السيئة * ادفع بالتي هي أحسن * فإذا الذي بينك وبينه عداوة * كأنه ولي حميم * وما يُلقّاها إلا الذين صبروا * وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ .

وإن للحلم في الحياة الإنسانية أثره البارز وعواقبه الحميدة ، حيث يصل من حبل الألفة ما يكاد ينقطع ، ويجمع من شمل الأمة ما يكاد يتوزع ، به يحل الأمن محل الخوف ، ويقر الوئام مكان الخلاف والشقاق ، به يرتفع الكبير ، ويكبر الصغير ، وتختصر المسافة ، سيما في مجال الإصلاح ، والتقويم والتربية ، والحلم عامل هام ، وأصيل في سلام الإنسانية ، وأمنها الاجتماعي ، ورقيها الأخلاقي ، و وحدتها التي يجب دعمها وإثراؤها ، وعدم تعريضها للانفعالات النزقة ، والانتفاضات الطائشة .

والأمة المنضبطة هي أعز الأمم في نفسها وعلى الناس ، والأمة الجهولة الحمقى ، هي أخرق الأمم ، وأهونها على نفسها وعلى الناس .

★★★

الإسلام والأمن في المجتمع الإنساني *

بقلم : د.أ.ن.م. رئيس الدين **
ترجمة : الأستاذ محمد شاه عالم - جامعة داكا (بنغلاديش)

من الحقيقة الناصعة أن الإسلام هو دين الأمن والسلام ، والاستسلام ، والإطاعة ، ولا شك أن الهدف الأساسي من الحياة الإنسانية ، هو العيش بالأمن والسلام ، وبالمعني العام حصول الراحة في الحياة الدنيوية والأخروية ، ولكن من الأسف الشديد أنه قد كثرت الآراء والاختلافات ، حول حصول هذه الراحة وتحقيقها في العالم .

(*) قُدّم هذا المقال باللغة الإنجليزية بعنوان : "Islam and Peace in human Society" في تضمين الحلقة الدراسية على البحوث العليا ، والمشروع المهنيّ (Higher Research and Training Project-Implemantation Seminar) سنة ١٩٩٧م ، جامعة داكا - بنغلاديش ، وترجمها وحقّقها الباحث محمد شاه عالم ، وهو طالب في السنة التمهيدية للدكتوراه بـ "قسم الدراسات الإسلامية" جامعة داكا - بنغلاديش .

(**) الدكتور أ.ن.م. رئيس الدين ، ولد في جمهورية بنغلاديش الشعبية (الباكستان الشرقية سابقاً) عام ١٩٤٩م ، وحصل على البكالوريوس والماجستير في قسم الدراسات الإسلامية ، جامعة داكا ، وحصل على الدكتوراه في موضوع : "Spanish Contribution to the study of Hadith Literature" من جامعة داكا ، وكان أستاذاً في الجامعة المذكورة منذ أيام ، وكانت ترقيته كأستاذ كرسي عام ١٩٨٩-١٩٩٢م ، وهو عضو المجلس الأعلى بجامعة داكا ، وبالجمعية الآسيوية ببنغلاديش .

وقد استطاع الإنسان في عصور الازدهار المادي الراهن أن يطير في جوّ السماء ، و يسير على سطح الماء ، حتى أن يجول في ظهر القمر ، و الكواكب الأخرى إلا أنه عجز عن إحداث جوّ ملائم للوحدة الاجتماعية ، والراحة النفسية ، لأن الأمن لا يحصل إلا بالانقياد أمام مراسيم الله تعالى وإرادته ، الذي هو خالق العالمين ، وصاحب السلطة العليا (١) ، و الحال أن الأمن يطلبه كل الناس ، لكن العدد القليل من الناس يجدونه .

ثم إذا بحثنا عن تاريخنا السالف نجد هناك أن الأنبياء والرسل كلهم من آدم إلى محمد ﷺ اجتهدوا حق الاجتهاد في دفع الظلم والفساد ، ونظام الضغط والفوضى عن الدنيا ، وفي سد الأعمال الشيطانية المنكرة ، والمعاصي المدمرّة بجميع أصنافها (٢) .

ومن المعلوم أن في جميع العالم ، ولا سيما في العرب (٣) كانت القيم الإنسانية معدومة وقت ظهور النبي ﷺ ؛ فنتيجة لها كان العالم حينئذ زاخراً بفعل الزنا، والفسق ، والظلم ، والفساد ، والأعمال الأخرى الخبيثة ، فما كان هناك أي ضمان لحياة الإنسان ، وعرضه ، وماله ، وأمانته ، فضلاً

(١) القرآن الكريم : ١١٢/٢ .

(٢) القرآن الكريم : ٤٨/٦ ، ٤١/٢ ، ٥٠/٣ ، ٤٦/٥ .

(٣) قد قيل : إن القيم الإنسانية كانت معدومة عند العرب قبل الإسلام ، وهذا حكم فيه تجنّ على العرب ؛ لأن التاريخ قد أثبت لنا أن القيم الإنسانية كانت موجودة عندهم ، والقارئ لحلف الفضول الذي ينصر المظلوم يجد ذلك واضحاً جلياً ، كذلك نجد قولاً لعنترة بن شداد العبسي ، إذ يقول يؤكد نظرتنا هذه ففيه ، يقول :

"وأغض طرفي حين تبد لي جارتي * .....

(المترجم)

أن يوجد الأمن والسلام (١) ، فالرسول الأعظم ﷺ جمع الإنسان تحت لواء الإسلام ، وأنقذهم من الحالة الحيوانية الغير الإنسانية ، وحثّ الإنسان على إقامة حقوقهم ، والوحدة الاجتماعية بينهم ، والعدل والراحة لهم ، كما أنه حثهم على محافظة الحياد في أمر الرجال ، والنساء ، والجنس ، والعقيدة ، واللغة ، واللون ، والمنطقة كلها .

ثم إن جنس جميع الناس واحد في نظر الإسلام ، وهو الجنس البشري ، وأنهم يرتبطون برابطة الأخوة والصداقة ، ولا يكون فيهم أي عداوة واعتداء ، ومن هنا يمكن تثبيت الأمن والسلام في المجتمع الإنساني ، وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الناس ! اتقوا ربكم * الذي خلقكم من نفس واحدة * وخلق منها زوجها * وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً" (٢).

وقال الرسول الكريم ﷺ للأمن في المجتمع الإنساني : "الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى من أحسن إلى عياله" (٣) .

ومن المعلوم أن رسالة الأمن للنبي الحبيب ﷺ كانت قد انتشرت في جزيرة العرب ، وفي العالم كله ، وما عدا ذلك أن النبي الكريم ﷺ اتخذ خطوة واقعية لتحقيق الأمن والسلام بعد هجرته من مكة إلى المدينة ، وأنه عقد اتفاقية مع غير المسلمين لتعايش المسلم ، وغير المسلم مع الأمن في دولته الإسلامية الجديدة ، و تلك الاتفاقية معروفة بوثيقة المدينة في التاريخ (٤) ، وهذه أول وثيقة للمجتمع الإنساني ، وهي تدل على أن دين

(1) Dr. Hasan Ibrahim Hasan, Tarikh Islam (Beirut, 1964), Vol.1, Pp.1-21.
P.K. Hitti, History of the Arabs (London, 1949), p.87.
Dr. Osman Ghani, Moha Nabi (Kolcata, 1982), Pp.84-94.

(٢) القرآن الكريم : ١/٤ . (٣) البيهقي : أحمد بن الحسين [ت ٤٥٨هـ] ، شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٩م : ج/٦ ، ص/٤٣-٤٤ ، رقم الحديث/٧٤٤٨ ، د.رئيس الدين "Sayings of the Holy Prophet (SM) in our day to day life" داكا - بنغلاديش ١٩٧٧م : ص/٢ .

(٤) انظر : د/عثمان غني : ص/٢١٢-٢١٣ .

محمد ﷺ دين التسامح ، فمثلاً : أنه ذكر في موضع من تلك الاتفاقية : أن المسلمين واليهود ، والفرق الأخرى أحرار في أداء طقوسهم وتقاليدهم ، وقد تمت هذه الوثيقة في وقت حينما كان النبي الكريم ﷺ رئيساً للمدينة ، وكذا عقد النبي الكريم ﷺ اتفاقية السلام مع سكان مكة ، ومن الممكن أن هذه أول اتفاقية استقرت في تاريخ الإنسان بصفة اتفاقية السلامة على المستوى العالمي ، ثم إنها معروفة بـ"هدنة الحديبية" (١) أيضاً ، وقد ذكرها القرآن الكريم بحيث إنها انتصار للإنسانية ، فقال الله تعالى مخاطباً لنبيه الحبيب ﷺ : ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك * وما تأخّر * ويتمّ نعمته عليك * ويهديك صراطاً مستقيماً * وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ (٢) ، ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين * ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم * ولله جنود السموات والأرض * وكان الله عليماً حكيماً ﴾ (٣) .

وجملة القول : إن نظام الأمن والسلام واضح في الإسلام ، وليس الغرض من هذا النظام إلا تثبيت الصداقة ، والأخوة والمودة والمحبة في قلوب الإنسان بحيث يزول بها جميع ما يكون عائقاً في طريق الأمن والسلام في المجتمع .

ومن المؤلم الشديد أنه انتشرت في العالم الأسلحة الذّرية المتنوعة باسم التنمية المزعومة للحضارة والثقافة ، وتجري المسابقة بين الناس في صنع الأسلحة المدمّرة ، ففي كثير من الأحيان تنشب الحروب بين الأقوام بسبب تلك الحادثة العادية التي يمكن أن يحلها بواسطة شخص أو منظمة

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، دار العلم - جدة ١٩٧٧م : ص/١٩٥-٢٠٣ ، شبلي النعماني : سيرة النبي الكريم ﷺ ، مطبعة المعارف - أعظم كره ١٣٦٤هـ : ج/١ ، ص/٤٤٧-٤٦١ ، W.M. Watt, Muhammad at Medina (London, 1956), Pp.46-48.

(٢-٣) القرآن الكريم : ٤٨/١-٤ .

أو بالمحادثة الواضحة مباشرة ، لكن حكومات اليوم تنفق ثرواتها الطبيعية لإضرار غيرها عداوة ، فمثلاً إن مجزرة البوسنا ، والحرب الخليجية الماضيتين ، ومشكلة الشرق الأوسط العصرية ، صرفت فيها ملايين الدولارات ، ومبلغه يفوق على نفقة الحربين العالميتين السالفتين ، وبالإضافة إليها فقد كانت حدثت حوادث كثيرة مؤلمة في الأيام السابقة ، وضاعت نفوس كثيرة ، وما زالت تقع حوادث أخرى ، مثل تلك الحوادث إلى الآن في العالم منها : مثلاً : قضية أفغانستان ولبنان ، وفلسطين ، وكشمير ، والمناطق الأخرى من العالم ، ولا يكتفي على هذا فقط ، بل طفق يزداد مسابقة الأسلحة ، والنفقة العسكرية للقوات العظيمة يوماً بعد يوم مع أن ملايين من الفقراء والبائسين ، يموتون بسبب الجوع حال كونهم مهملين .

ومن العجب أن جنوب آسيا الذي يقع فيه كثير من الدول الفقيرة من العالم خاصة ، ولكن مع هذا يُنفق في قطاع الدفاع لهذه الدول ٥٠/بليون دولار تقريباً في كل سنة ، وبالرغم من هذا تقع في هذه المنطقة دولتان تحلان محلّ١٤٢/ و١١٩/ في دول العالم بنسبة الدخل السنوي لكل شخص ، إلا أنهما احتلّتا مكاناً عالياً في مسابقة الأسلحة (١) .

و قد نسينا خالقنا ، الذي هو مالك حياتنا ، ومالنا ، ولكل شئ عندنا (٢) ، وكذا صرنا على وشك النسيان بكون ولادتنا من أبينا آدم ، ومن أمّنا حواء ، ومن المحتوم أننا نشير الغير على أن يتنبهوا بنسبة حقوق الغير ، وفيه قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ أتأمرون الناس بالبر *

(١) بحسب تقرير : (الجريدة اليومية البنغالية) ٧/يونيو ١٩٩٧م - بنغلاديش ، يراد بهما دولة الهند وباكستان .

(٢) القرآن الكريم : ١٨٩/٣ ، ١٧/٥ ، ٤٢/٢٤ ، ٤٩/٤٢ .

وتنسون أنفسكم ﴾ (١) .

لا شك أن كلنا أعضاء للمجتمع الإنساني الواحد ولأسرة العالم الواحدة ، لكن لا نقوم بأي مواساة للفقراء ، والطبقات الوضيعة ، والجائعة لوقت مّا ، يقول الشاعر الأردوي :

درد دل کے واسطے پیدا کیا انسان کو
ورنہ طاعت کیلئے کچھ کم نہ تھے کرّوبیان

[أي خلق الإنسان لمواساة الغير ، فإن لم توجد هذه منكم فالملائكة كانوا كافين لبيان أو صافه تعالى الجميلة العلية]

يقول الرسول الأعظم ﷺ : "كلكم بنو آدم ، وآدم من تراب" (٢) .

وقال أيضاً : "الناس سواسية كأسنان المشط" (موسوعة أطراف الحديث النبوي : ٩٥/١٠-٩٦) .

فلا تفاوت بين إنسان وإنسان ، وعلى هذا علينا أن نتقدم إلى تنمية إنتاج الحبوب الغذائية ، والقيام بالأعمال البنّاءة بدل أن نصنع الأسلحة المهلكة ، وأن نبسط يد الدعم والمساعدة وبالإضافة إليه أن نعتقد بأن الله تعالى خلقنا ، فلابد لنا أن نقيم صلة الصداقة ، والأخوة فيما بيننا بصفة أننا أعضاء للمجتمع الإنساني ، وأن ننسى التفاوت بين الأديان ، والألوان ، واللغات ، والمناطق ، وهذا هو تعليم الإسلام (٣)

ثم إن أكبر عوامل الاختلاف بين الناس ، هو الانحطاط المثالي لنا

---

(١) القرآن الكريم : ٤٤/٢ .

(٢) ابن كثير : القرآن العظيم ، المكتبة التجارية - مكة المكرمة : ج/٤ ، ص/٢٢٨ ، رواه البزار في مسنده ، ونقل ابن كثير في تفسير آية : ﴿ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ من سورة الحجرات ، انظر : د/رئيس الدين ، المصدر السابق : ص/٢ .

(٣) القرآن الكريم : ٦/٣٩ ، ١١/٣٥ ، ١٨٩/٧ .

فقط ، وقد كوّنت منظمة الأمم المتحدة جيش حراسة كي يصون الأمن العالمي ، ولكن فشل هذا الجيش فشلاً قبيحاً في نيل مطلوبهم ، لأن الأمن والسلام لايتطلب بذل القوة عليه ، بل يقتضي الإحساس والمؤدة لتحقيقها ، ولا يمتلكهما الناس سوى عقيدة التوحيد (١) ، قال الله تعالى : ﴿ ما لكم من إله غيره ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ (٢) ، فلا سبيل إلى حصول سلامة سوى الاعتقاد المذكور مهما يكن الدين .

وليس اعتقاد التوحيد ميثاق منظمة الأمم المتحدة ، بل إنه وسيلة لحصول الوحدة الحقيقية ، والمودة بين الناس ، اللتان توردان الأمن والسلام في المجتمع الإنساني ، وقلب الإنسان ، ولابد لهذه السلامة من تزكية النفوس أيضاً ، ولذا اعتنى النبي الكريم ﷺ بتزكية النفس ، يقول الرسول الأعظم ﷺ : "ألا إن في الجسد لمضغة ، إذا صلحتْ صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب" (٣) .

أمر النبي الكريم ﷺ بذكر الله تعالى لتزكية النفس ، فقال النبي الكريم ﷺ : "لكل شيئ صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله" (٤) .

---

(١) القرآن الكريم : ١/١١٢-٤ ، ٧٣/٧ و/٨٥ .

(٢) القرآن الكريم : ١٦٩/٢ .

(٣) الصحيح للبخاري ، كتاب الإيمان ، رقم الباب/٣٩، الصحيح لمسلم ، كتاب المساقاة ، رقم الباب/١٠٧ ، السنن لابن ماجة ، كتاب الفتن ، رقم الباب/١٤ ، الدارمي ، كتاب البيوع ، رقم الباب/١ ، د.أ.ي. ونسك ، و د.ب. منسنج : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، بريل ١٩٤٣م : ج/١ ، ص/٣٤٧ .

(٤) ولي الدين الخطيب التبريزي : مشكاة المصابيح ، إمدادية لائبريري ، دوار السوق ، داكا - بنغلاديش ١٤١٥هـ : ص/١٩٩ ، باب ذكر الله عزّوجل ، والتقرب إليه : الفصل الثالث ، رواه البيهقي .

فإن حصلت التزكية بهذا الطريق يمكن أن تنشأ المحبة في قلوب المزكي ، فكما لابد للإنسان أن يغرس في قلبه حب الله تعالى ، كي يمكن له المحافظة على الحياة في صدد لغة الإنسان ، ولونه ، ومنطقته ، فكذا لابد له أن يكتم في قلبه حب جميع الخلق (١) ، وقد حكي نفس هذا القول : الفيلسوف الإسلامي الشاعر العظيم محمد إقبال في شعر له :

أز محبت چون خودي محكم شود
قوتش فرماندهٔ عالم شود

المعنى : [إذا تقوّى القلب بمحبة الله تعالى ، فحينئذ تحكم العالم قوة قلبه]

الإسلام دين يجعل الإنسان سعيداً ، وينشئ ظرفاً للأمن في العالم ، وبه تحصل راحة الحياة السرمدية في دار الآخرة ، وقد اهتم الإسلام بقيام صلة طيبة فاضلة بين الله ، وبين الإنسان ، وكذا بين فرد وفرد آخر من الإنسان ، وكذا بين خلق آخر ، كي يسهل على الإنسان دخول الجنة .

لا شك في أن الوحدة والمؤدة بين الناس نتيجتان للاعتقاد الصحيح بالله تعالى ، فلا تتأتي الوحدة والمؤدة بين الناس إلا بعقيدة التوحيد ، وباعتقاد أن النبي الكريم ﷺ ، هو رسول الله المحق ، وأن القرآن الكريم وحي منزل من الله تعالى إلى رسوله ، وبالاعتقاد بالأنبياء السابقين (٢) .

إن الحياة اليومية رابطة متساوية للإنسان كالتجارة ، والأعمال الاجتماعية ، والسياسية ، وقد قلنا من قبل أن الاعتقاد بالله تعالى ، هو شئ هام لكل إنسان ، لأنه يتسبب إلى إحداث وحدة الإنسان ومودتهم ، وبهذا الاعتقاد يمكن اتحاد المجتمع الإنساني ، وبه تزول الاختلافات الحزبية والقومية بينهم .

---

(١) انظر : د/رئيس الدين ، المصدر السابق : ص/٢ .

(٢) القرآن الكريم : ١/١٨ ، ٩٩/٢ ، ٤٨/٥ ، ٤١/٨ ، ٤٤/١٦ .

وقد سبق أن الناس كلهم أعضاء لأسرة واحدة (١) بنسبة أن الله تعالى خلقهم جنساً واحداً ، وأن آباهم واحد ، وهو آدم ﷺ ، فنظرة إليه لابد للإنسان أن يتنشط ، و يعامل بالناس أخوياً و ودّياً بدل الأعمال العدائية والكريهة التي يرفضها الإسلام ، ومن الواقعة أن الأخوة والاتحاد إنما يشجعان الناس على تحقيق الوحدة الاجتماعية والثبات ، كما أنهما يؤكدان عقيدة التوحيد .

ثم إن المسلك الذي ينبغي للإنسان أن يسلكه لإقامة الأمن والسلام في حياتهم ، هو : كما أرشده الله في القرآن الكريم بنفسه ، فقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ! إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى * وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله أتقاكم * إن الله عليم خبير ﴾ (٢) ، وقال الله تعالى اهتماماً بالاتحاد الاجتماعي والتعارف : ﴿ كان الناس أمّةً واحدةً ﴾ (٣) .

فالاتحاد المثالي ، هو : نتيجة عقيدة التوحيد مباشرة ، وأخوة الإنسان ، ومودتهم جيلاً بعد جيل ، هي ثمرة حبّ الله تعالى .

الإسلام لا يحسب أحداً متديناً إلا بأن يقر بحقوق الإنسان (٤) فالمواساة جزء لا ينفك عن العقيدة ، وضروري لتحقيق الأمن ، إذ لا يصير أحد متديناً خالصاً ، بإقامة الصلاة ، وأداء الصوم ، والحج فحسب ، بل لابد أن يكون حنوناً ، وهذا لا يقتصر على الإنسان فقط ، بل يتعلق بجميع الخلق .

سأل الخليفة الثاني عمر الفاروق ﷺ رجلاً عن شأن رجل ، فأجاب قائلاً : بأن ذلك الرجل صالح ، ثم سأله عمر ﷺ عن قوله ، فأجاب الرجل : وقال : إني قلتُ هذا لما أني سمعت أن ذلك الرجل يتحنث في

---

(١) القرآن الكريم : ٢١٣/٢ .

(٢) القرآن الكريم : ١٣/٤٩ .

(٣) القرآن الكريم : ٢١٣/٢ .

(٤) القرآن الكريم : ٧٢/٢٨ .

المسجد ، فأعاد عمر ﷺ سؤاله ، وقال : هل اتّجرتَ معه ، وعاملت معه ، فأجاب الرجل : بـ "لا" ، فحينئذ قال له عمر ﷺ قوله : أنت سفيه لا تعلم عنه شيئاً ، فيفهم من كلام عمر ﷺ (١) أنه لا يثبت صفاء دين أحد بالعبادة في زاوية المسجد فقط ، بل تثبت حقيقة تدينه بسلوكه مع الناس .

ومن المعلوم أن الله تعالى جعل الإسلام دستوراً كاملاً للحياة ، كي يترقى الإنسان إلى الأمام ، ويتعايش بكل هدوء واطمئنان في الحياة الدنيوية ، وبهذا يمكن للإنسان نيل سلامة الجنة وراحتها ، وكذا يمكن حتم صيانة الحياة الإنسانية التي هي أولى شروط تحقيق الأمن والسلام ، فقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ مَن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض * فكأنما قتل الناس جميعاً * ومَن أحياها * فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ (٢) .

وقال النبي الكريم ﷺ في حجة الوداع :

"أيها الناس ! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم" (٣) .

لا شك أن الأمن والسلام ، هما طموح الحياة الإنسانية ، وهدفها الأصلي عامة ، وقد يحدث الأمن والسلام من عقيدة التوحيد ، وانقياد الناس لله تعالى وخضوعهم أمامه ، على أن الأمن والسلام يرتبطان بالإيمان

(١) البيهقي ، أحمد بن الحسين [ت ٤٥٨هـ] ، السنن الكبرى مع الجوهر النقي ، دار الفكر ١٣١٦هـ : ج/١٠ ، ص/١٢٥ ، باب من يرجع إليه في السؤال يجب أن تكون معرفته باطنة متقادمة .

(٢) القرآن الكريم : ٣٥/٥ .

(٣) انظر : ابن هشام : سيرة النبي الكريم ﷺ : ص/٢٩٧-٢٩٨ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك (بريل ، ليدن ١٩٠١م) : ج/٤ ، ص/١٧٦٤ وما بعدها .

بالله في نظر الإسلام ، وذلك شائع في الأديان الأخرى أيضاً ، وما عدا ذلك علمنا الإسلام شيئين نحتاج إليهما في تحقيق الأمن :

فالأول : أن أهمية الإسلام تتصل بالأمن والسلام بحيث إنه يذكر كل يوم في العبادات ، ويبدأ بـ "الله أكبر" ، معناه : الله أعظم ، وفي هذه المقولة إقرار وثيق لعظمة الرب وكبريائه .

الثاني : أن العبادة (الصلاة) تتم بـ "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" : يميناً ويساراً ، ومعناه : أنزل الله تعالى على كل فرد الرحمة والسلامة ، وهذا يدل على أن الإسلام يحمل السلامة ، وينشرها في المجتمع الإنساني من العالم ، وأنه يؤهل كل شخص لإتيان الأمن والسلام الحقيقي .

وأن الإسلام يهتم بالوحدة للأمم كلهم ، لا للأمة المسلمة فقط ، وأنه لا يفرق بين الأديان ، والألوان ، واللغات ، والمناطق ، يقول الرسول الكريم ﷺ : "مَن لم يرحم صغيرنا ، ولم يوقر كبيرنا ، فليس منا" (١) .

ونظراً إلى هدف كبير ، وتركاً لتفاوت دين وجنس ، قال النبي الكريم ﷺ : "لا يرحم الله ، مَن لا يرحم الناس" (٢) .

(١) ابن عدي : الكامل في الرجال ، دار الفكر بيروت ١٤٠٤هـ : ج/٦، ص/٢٠٩٨، ابن حبيب : المسند ، تصوير مكتبة الثقافة : ج/٢ ، ص/٤٥ ، زغلول : موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، دار الفكر بيروت ١٩٩٤م : ج/٨ ، ص/٥٤٦ ، وفي رواية أبي داؤد ، والمسند لأحمد ابن حنبل ، والمستدرك للحاكم : "مَن لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا ، فليس منا" ، أبو داؤد : السنن ، كتاب الأدب ، رقم الباب/٦٥ ، أحمد بن حنبل : المسند ، المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ : ج/٢ ، ص/٢٢٢ ، الحاكم : المستدرك ، بيروت - بدون تاريخ : ج/٤ ، ص/١٧٨ ، انظر : د/رئيس الدين ، المصدر السابق : ص/٢٥ .

(٢) الصحيح للبخاري ، شركة المختار ، ديوبند - الهند ١٩٨٥م : ج/٢ ، ص/١٠٩٧ ، كتاب التوحيد ، رقم الباب/٢ ، الصحيح لمسلم : كتاب الفضائل ، رقم/٦٦ ، المعجم المفهرس : ٢٣٦/٢ .

والله تعالى لا ينزل الرحمة على أحد ما لم يرحم أحد الآخر ، وقد نزل فيه آية القرآن الكريم : ﴿ وتعاونوا على البرّ * والتقوى * ولا تعاونوا على الإثم * والعدوان ﴾ (١) ، وقال الرسول الأعظم ﷺ : "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (٢) .

وأكبر المظاهر الجذّابة للأمن في الإسلام ، هو تبادل التحية بين المسلمين كل يوم ، وحيثما يلتقون بعضهم مع بعض ، ويقولون : "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" ، وفي هذه الكلمة دعاء للمخاطب بحيث تنزل عليه الرحمة من الله تعالى ، ففهم من هذا أن أساس الإسلام على الأمن والسلام ، ولذا تواضعت أقوال العلماء كلهم على أن الإسلام ينبئ عن معنى السلامة والراحة ، لأن الإسلام يعلمنا بإقامة الأمن والسلام في جميع جوانب الحياة الإنسانية ، وكذا يصدّنا عن كل أفعال تضر الآخر ، فالقرآن الكريم نبه على هذا : ﴿ والله لا يُحبّ الفساد ﴾ (٣) .

وقال أيضاً : ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض * إن الله لا يُحبّ المفسدين ﴾ (٤) .

وهذه عدة نماذج لأفكار سلامة الإسلام في الواقع ، وما عداه فإن الديانات الأخرى أيضاً تدعي السلامة :

★ فمثلاً ذكر الأمن في كتاب : "أوب نيشاد" (Upanishads) للديانة الهندوسية : (Ong Shanty) ، وقال أيضاً "جزور بيد" (Juzur Bed) :

---

(١) القرآن الكريم : ٢/٥ .

(٢) انظر : الصحيح للبخاري : ج/١ ، ص/٦ ، كتاب الإيمان ، رقم الباب/٣-٤ ، د/رئيس الدين ، المصدر السابق : ص/٥٥ .

(٣) القرآن الكريم : ٢٠٥/٢ .

(٤) القرآن الكريم : ٧٧/٢٨ .

إن السلامة توجد في الدنيا ، وفي السماء ، وفي الهواء ، وفي الدواء ، وفي الأشجار ، وفي الغابة ، وفي معبوداتهم ، حتى توجد في كل شئ ، نحن نطلب كل أنواع السلام .

★ وذكر في الديانة البوذية : "Ohimsha Param Dharma" أي أن حقيقة الديانة ، هي الاحتراز عن ضرر الغير وإيذائه .

★ ويقول غوست من الديانة المسيحية نفس هذا القول ، وقوله : "Blessed are those who have clean heart they will see God" أي أن السعيد من تنقّى قلبه ، فهو يرى المعبود .

فثبت من التفصيل المسرود أن كل ديانة بحثت عن الأمن و السلام ، وبالرغم من هذا ما خلي ربع من ربوع الدنيا عن التفاوت الجنسي ، والظلم ، والاعتداء ، والضغط ، والفساد ، والالتجاء إلى المحظور ، والحرب ، فأثمر كل ذلك أن فاتت السلامة عن الحياة الإنسانية قاطبة ، حتى زال الأمن عن النفس ، والمال ، والجاه ، فكل خطيئة تظهر ، هي منا لا من ديننا .

ثم إن كل نظم وقانون يشرّع للأمن والسلام ، قليل جداً ، فلابد من توسعة نطاق السلامة ، والإسلام يعلم تلك بالاستعمال الواقعي (١) ، ولكن من الحقيقة أن ما نقول بالأفواه لا نفعل بالأيدي في كثير من الأحيان ، ولذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لم تقولون ما لا تفعلون * كَبُرَ مقتاً عند الله * أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (٢) .

---

(١) القرآن الكريم : ٢٨/٢ و٨٢/ ، ٥٧/٣ ، ٥٧/٤ و١٢٢/ و١٧٣/ ، ٩/٥ و٩٣/ ، ١١/١١ .

(٢) القرآن الكريم : ٢/٦١-٣ .

و من الحق أن ما نقوله لا نفعله ، فمن هنا يحدث الضرر ، ومخالفة القانون ، و الظلم ، و العداوة ، و المآثم الأخرى ، التي تفسد نظام المجتمع .

ومن الأعاجيب : أن كل الديانات ، وإن كانت تعلّم الأمن والسلام إلا أن المخالفة والمصارعة والحرب بين الناس لا تزال قائمة ، نعم إن متبعي الديانات إذا استخدموا دياناتهم على الحقيقة ، فساعتئذٍ يُرجى تحقيق السلام في المجتمع الإسلامي ، ونفس هذا القول حكى القرآن الكريم : ﴿ لكم دينُكُم وَلِيَ دين ﴾ (١) .

وحكى أيضاً : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (٢) .

فكل الناس في العالم أحرار تماماً في أداء حقوقهم ، واختيار الوسائل النافعة ، فكل ما نفكره لأنفسنا ، لابد أن نفكره لأخينا أيضاً ، كما قال الرسول الحبيب ﷺ : "لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (٣) .

و هذا وقت ملائم لتجميع كل الناس على منصّة واحدة : كأمة واحدة ، وكذا هذا وقت نموذجي لتطوير الإنسانية بقيام الناس بعمل مجيد ، وبهذا يحصل للمجتمع الإنساني الأمن والسلامة ، والأخوة ، والمودة ، والراحة في الحياة الدنيوية ، والراحة السرمدية ، والسعادة الأبدية في الحياة الأخروية .

---

(١) القرآن الكريم : ٦/١٠٩ .

(٢) القرآن الكريم : ٢٥٦/٢ .

(٣) انظر : الصحيح لمسلم ، كتاب الإيمان ، رقم الباب/١٧ ، رقم الحديث/٧١ .

الدعوة الإسلامية :

الرحمة في الإسلام

[٢/الأخيرة]

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

و تتجلى رحمة الله في كل ما سخره الله لنا من حولنا ، ومن فوقنا ، ومن تحتنا مما نعلمه ، ومما لا نعلمه من آيات ونعم ، وهي كثيرة لا تحصى ، منها على سبيل المثال لا الحصر : الليل ، النهار ، القمر ، النجوم ، الكواكب ، المطر ، الرياح ، البحار ، الأنهار ، النباتات ، الحيوانات ، الأراضي الزراعية والصحراوية ، المال ، البنون .. إلخ ، وإن كان وجود كل هذه النعم ، وكل هذه المسخرات ، وكل هذه المتع في حد ذاته نعمة ، لكن إن لم تشملها، وتحفها ، وتحيطها رحمة الله ، فإنها تتحول من نعمة إلى نقمه ، فما من نعمة يمسك الله معها رحمته ، حتى تنقلب هي بذاتها نقمة ، وما من محنة تحفها رحمة الله ، حتى تكون هي بذاتها نعمة ، ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله ، فإذا هي مهاد ، و ينام على الحرير ، وقد أمسكت عنه ، فإذا هو شوك القتاد ، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله ، فإذا هي هوادة ويسر ، ويعالج أيسر الأمور ، وقد تخلت رحمة الله ، فإذا هي مشقة وعسر ، ويخوض بها المخاوف والأخطار ، فإذا هي أمن وسلام ، ويعبر بدونها المناهج والمسالك ، فإذا هي مهلكة وبوار ، ولا ضيق مع رحمة الله ، إنما الضيق في إمساكها دون سواه ، لا ضيق ، ولو كان صاحبها في غياهب السجن ، أو في جحيم العذاب ، أو في شعاب الهلاك ، ولا سعة مع إمساكها، ولو تقلب الناس في أعطاف النعيم ، وفي مراتع الرخاء ، فمن داخل النفس برحمة الله تتفجر ينابيع السعادة ، والرضا ، والطمأنينة ، ومن داخل النفس

مع إمساكها تدب عقارب القلق ، والتعب ، والنصب ، والكد ، والمعاناة ، هذا الباب وحده يفتح ، وتغلق جميع الأبواب ، وتوصد جميع النوافذ ، و تسد جميع المسالك ، فلا عليك ، فهو الفرج ، والفسحة ، واليسر، والرخاء ، وهذا الباب وحده يغلق ، وتفتح جميع الأبواب ، والنوافذ ، والمسالك ، فما هو بنافع ، وهو الضيق ، والكرب ، والشدة ، والقلق ، والعناء ، هذا الفيض يفتح ، ثم يضيق الرزق ، و يضيق السكن ، و يضيق العيش ، و تخشن الحياة ، ويشوك المضجع ، فلا عليك ، فهو الرخاء ، والراحة ، والطمأنينة ، والسعادة ، وهذا الفيض يمسك ، ثم يفيض الرزق ، ويقبل كل شئ ، فلا جدوى ، وإنما هو الضنك ، والحرج ، والشقاوة ، والبلاء ، المال ، والولد ، والصحة ، و القوة ، و الجاه ، و السلطان ، تصبح مصادر قلق ، و تعب ، و نكد ، وجهد ، إذا أمسكت عنها رحمة الله ، فإذا فتح الله أبواب رحمته ، كان فيها السكن ، والراحة ، والسعادة ، والاطمئنان ، يبسط الله الرزق مع رحمته ، فإذا هو متاع طيب ورخاء ، وإذا هو رغد في الدنيا ، وزاد إلى الآخرة ، ويمسك رحمته ، فإذا هو مثار قلق وخوف ، وإذا هو مثار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ، ببخل أو مرض ، وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار ، ويمنح الله الذرية مع رحمته ، فإذا هي زينة في الحياة ، ومصدر فرح واستمتاع ، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح ، الذي يذكر الله ، ويمسك رحمته ، فإذا الذرية بلاء ، ونكد ، وعنت ، وشقاء ، وسهر بالليل ، وتعب بالنهار ، ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته ، فإذا هي نعمة وحياة طيبة ، وتلذذ بالحياة ، ويمسك رحمته ، فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوي ، فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ، ويفسد الروح ، ويدخر السوء ليوم الحساب ، ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته ، فإذا هي أداة إصلاح ، ومصدر أمن ، و وسيلة لإدخار الطيب الصالح من العمل والأثر ، ويمسك الله رحمته ، فإذا

الجاه والسلطان مصدر قلق على قوتهما ، ومصدر طغيان ، وبغي بهما ، ومثار حقد ، وموجدة على صاحبهما لا يقر له معهما قرار ، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان ، ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار ، والعلم الغزير ، والعمر الطويل ، والمقام الطيب ، كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال مع الإمساك ، ومع الإرسال لرحمة الله ، قليل من المعرفة يثمر وينفع ، وقليل من العمر ، يبارك الله فيه ، وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة ، والجماعات كالآحاد والأمم كالأفراد في كل أمر ، وفي كل وضع ، وفي كل حال ، ولا يصعب القياس على هذه الأمثال .. (١) ، وهكذا تتعدد وتتباين صور رحمة الله التي يكتبها لمن يشاء ، ويخص بها من يشاء من عباده .

ورحمة الله أكبر من أن يتفهمها البشر ما لم يحطهم الله عزّوجل ببيانها لهم ، فهذا هو سيدنا موسى نبي بني إسرائيل ، يتعب ويستغرب لأفعال قام بها سيدنا الخضر عند خرقه للسفينة ، وقتله للغلام ، وإقامته للجدار ، ولكن سيدنا الخضر ، الذي قال فيه : ربنا عزّوجل في سورة الكهف/٦٥ : ﴿ آتيناه رحمةً مّن عندنا * وعلّمناه من لَدنّا علماً ﴾ كان أعلم بها ، ولذا فهو يرد على سيدنا موسى بقوله : إن الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة السابقة ، إنما هي رحمة من الله ، قال تعالى في سورة الكهف ، الآيات/٧٩-٨٢ : ﴿ أما السفينة * فكانت لمساكين يعملون في البحر * فأردتُ أن أعيبها * و كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً * و أما الغلام * فكان أبواه مؤمنَين * فَخَشينَا أن يُرهقهما طغياناً وكفراً * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً * وأقرب رحماً * وأما الجدار * فكان لغلامَين يتيمَين في المدينة * وكان تحته كنز لهما * وكان أبوهما صالحاً * فأراد ربّك أن يبلُغا أشُدّهما * ويستخرجا كنزهما رحمةً مّن ربّك * وما

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٥ ، ص/٢٩٢١-٢٩٢٣ .

فعلته عن أمري * ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ﴾ فهناك الكثير من الأمور قد يندهش أو ينزعج لظاهرها أي إنسان ، ولكنها تمثل في باطنها رحمة من الله ، كما أن هناك الكثير من البشر من يتغير حالهم إذا من الله عليهم برحمته أو أمسكها عنهم ابتلاء لهم ، و منهم من يؤولها على غير وجهها ، قال تعالى في سورة الروم/٣٣ : ﴿ وإذا مَسَّ النّاس ضرّ دَعَوْا ربهم منيبين إليه * ثم إذا أذاقهم منه رحمةً إذا فريق منهم بربّهم يُشركون ﴾ ، وقال تعالى في سورة الروم/٣٦ : ﴿ وإذا أذقنا النّاس رحمةً * فرحُوا بها * وأن تُصبهم سيئةٌ بما قدّمت أيديهم * إذا هم يقنطون ﴾ .

ورحمة الله خير من أي متعة ، أو من أي منفعة ، من متاع أو منافع هذه الدنيا الزائلة ، قال تعالى في سورة الزخرف/٣٢ : ﴿ ورحمة ربّكَ خير ممّا يجمعون ﴾ أي أن رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من أموال ، ونفائس ، وكنوز ، وبنين ، ونساء ، وأنعام أو غيرهم من متع الحياة الدنيا ، ولذلك فخير دعاء من الأبناء للأبوين علمه لنا الإسلام جزاءَ تربيتهما بكل ما فيها من إيثار للأبناء على نفسيهما ، والسهر من أجل راحتهم ، بل والجوع والتعرية من أجل إشباعهم وكسوتهم لم يكن الدعاء مقابل ذلك أن يعوضهما الله مالاً أو صحةً ، بل كان بطلب الرحمة ، قال تعالى : ﴿ وقُلْ : ربّ ارحمهما * كما ربّياني صغيراً ﴾ [الإسراء/٢٤] ، فرحمة الله أوسع ، ورعاية الله أشمل ، وجناب الله أرحب من أي نعمة أخرى .

وهناك جملة من الأمور والتكليفات ، التي إذا تحققت في نفس الفرد ، وترجمتها جوارحه إلى أفعال ، ولسانه إلى أقوال ، استحق بها رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، منها : الإيمان بالله ورسوله ، والتمسك بالقرآن والسنة ، والعمل بما فيهما ، والطاعة التامة لكل أحكامهما ، وتقوى الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وعمل الصالحات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصلح بين الناس ، والصبر على المصائب ، و ولاية المؤمنين ،

والجهاد في سبيل الله ، والهجرة لله ولرسوله ، وسماع القرآن الكريم ، والإنصات إليه ، وتدبر معانيه ، وكثرة الاستغفار ، وتجديد التوبة ، وعبادة الله ، كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فهو يراك ، قال تعالى في سورة التوبة/٧١ : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * يأمرون بالمعروف * وينهون عن المنكر * ويُقيمون الصلاة * ويُؤتون الزكاة * ويُطيعون الله ورسوله * أولئك سيرحمهم الله * إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ ، وقال عزّوجل في سورة البقرة/٢١٨ : ﴿ إنّ الذين آمنوا * والذين هاجروا * وجاهدوا في سبيل الله * أولئك يرجون رحمة الله * والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ ، وقال جلّوعلا في سورة الأعراف/٥٦ : ﴿ إنّ رحمة الله قريبٌ مّن المحسنين ﴾ ، وقال في سورة الجاثية/٣٠ : ﴿ فأما الذين آمنوا * وعملوا الصالحات * فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ ، وقال في سورة الحديد/٢٨ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! اتقوا الله * وآمنوا برسوله * يؤتكم كفلَين من رحمته ﴾ ، وقال في سورة النمل/٤٦ : ﴿ قال : يا قوم ! لم تستعجلون بالسّيّئة * قبل الحسنة * لَو لا تستغفرون الله * لعلّكم ترحمون ﴾ ، وقال في سورة البقرة ، الآيات/١٥٥-١٥٧ : ﴿ وبَشّر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ * قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ﴾ ، وقال في سورة الأعراف/٢٠٤ : ﴿ وإذا قُرئَ القرآن * فاستمعوا له * وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ ، وقال : ﴿ إنما المؤمنون إخوة * فأصلحوا بين أخويكم * و اتّقوا الله * لعلكم ترحمون ﴾ [الحجرات/١٠] ، وقال الرسول الحبيب ﷺ : "الراحمون ، يرحمهم الرحمن ، ارحموا مَن في الأرض ، يرحمكم مَن في السماء" [رواه أبو داؤد ، والترمذي] ، وقال : "مَن لا يرحم الناس ، لا يرحمه الله" [رواه البخاري ومسلم واحمد] "إنما يرحم الله من عباده الرحماء" ، وقال : "مَن لا يرحم ، مَن في الأرض ، لا يرحمه مَن في السماء" . [رواه الطبراني]

أما الذين ليس لهم نصيب من رحمة الله ، فهم الذين قال عنهم القرآن الكريم : ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه * أولئك يئسوا من رحمتي * وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ [العنكبوت/٢٣] ، وقال تعالى في سورة الحجر/٥٦ : ﴿ ومَن يقنط من رحمة ربه إلا الضالّون ﴾ ، وقال الرسول الأعظم ﷺ ، فيما رواه الترمذي وأبو داؤد وغيرهم : "لا تنزع الرحمة إلا من شقي" ، فقد حكم عليه الصلاة والسلام على العارين من الرحمة بأنهم هم الأشقياء .

فالرحمة من معالم الإيمان وسمة من سماته ، وأثر من آثاره ، ذلك الإيمان الذي يرقق بنفحاته القلوب الغليظة ، والأفئدة القاسية ، فهذا هو عمر ابن الخطاب ﷺ ، وقد كان معروفاً بالشدة ، والقسوة في جاهليته ، حتى إنه وأد بنتا له ، قد فجر الإيمان ينابيع الرحمة ، والرقة في قلبه ، حتى إنه لما ولي إمارة المؤمنين كان يرى نفسه مسئولاً أمام الله عن بغلة تعثر بأقصى البلدان ، وقد غلب هذا الخلق على أعمال المسلمين الأولين ، و وضح آثاره في سلوكهم ، حتى مع الأعداء المحاربين ، فنجد رسول الإسلام يغضب حين مر في إحدى غزواته ، فوجد امرأة مقتولة ، فقال : "ما كانت هذه لتقاتل" ، وينهى عن قتل النساء ، والشيوخ ، والصبيان ، ومن لا مشاركة له في القتال ، ويسير أصحابه على نفس النهج أبراراً رحماءً ، لا فجاراً قساةً ، فهذا أبو بكر يودع جيش أسامة بن زيد ، ويوصيهم قائلاً : لا تقتلوا امرأة ، و لا شيخاً ، و لا طفلاً ، و لا تعقروا نخلاً ، و لا تقطعوا شجرة مثمرة ، و ستجدون رجالاً ، فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم ، وما أفرغوا أنفسهم له ، ويقول عمر : اتقوا الله في الفلاحين ، الذين لا ينصبون لكم الحرب ، ويحمل إلى أبي بكر رأس مقتول من كبراء الأعداء المحاربين ، فيستنكر هذا العمل ، ويعلن سخطه عليه ، ويقول : لمن جاءه بالرأس ،

لا يحمل إلى رأس بعد اليوم ، فقيل له إنهم يفعلون بنا ذلك ، فقال فاستنان : "أي اقتداء" بفارس والروم ؟!

وقد لاحظ ذلك الفيلسوف الفرنسي "غوستاف لوبون" ، فقال ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ، ولا أرحم من العرب .. (١) ، ولم يكتف الإسلام ببيان صور الرحمة الإلهية وآثارها أو بيان صفات المستحقين للرحمة ، وإن كان هذا يكفي ليتعظ ، ويعتبر الإنسان ، ويعكف على بحث سبل الاهتداء إليها ، بل أمر الإسلام بإشاعة جو الرحمة في المجتمع ، قال تعالى في سورة البلد/١٧ : ﴿ وتَواصَوا بالصبر * وتَواصَوا بالمرحمة ﴾ ، فالتواصي بالمرحمة أمر زائد على الرحمة أنه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به ، والتحاض عليه ، واتخاذه واجباً جماعياً ، وفردياً في الوقت ذاته ، يتعارف عليه الجميع ، ويتعاون عليه الجميع .. (٢) ، والمؤمنون أتباع سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، والذين يسيرون على هداه ، و وفق سنته متراحمون فيما بينهم يعطف بعضهم على بعض ، ويواسي كل منهم أخاه ، فمشاعرهم متلاقية ، وأحاسيسهم تنبض بالتعاون ، والتساند ، والتعاطف ، والتآلف ، لا مكان للقسوة بين قلوبهم ، ولا تظهر الشدة أو الغلظة في محيطهم إلا مع أعدائهم من الكفار ، قال تعالى : ﴿ محمّد رّسول الله * والذين معه أشدّاء على الكفار * رُحماء بينهم ﴾ [الفتح/٢٩] ، وقال ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد : إذا اشتكي منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [رواه مسلم] .

والمؤمن مأمور بأن يكون له حظ ونصيب من أسماء الله الحسنى ،

(١) كتاب الإيمان والحياة -يوسف القرضاوي : ص/٢٩٠-٢٩١ .

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٦ ، ص/٣٩١٣ .

يتخلق بها في سلوكياته ، وحظ العبد من اسم : ﴿ الرَّحمن ﴾ أن يرحم عباد الله الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ ، والنصح بطريق اللطف دون العنف ، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة ، لا بعين الإيذاء ، و أن يرى كل معصية تجري في العالم ، كمعصية له في نفسه ، فلا يدخر جهداً في إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي من أن يتعرض لسخط الله تعالى ، وحظ العبد من اسم : ﴿ الرَّحيم ﴾ ألا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدها بقدر طاقته ، ولا يترك فقيراً في جواره ، أو في بلده إلا ويقوم بتعهده ، ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو بالشفاعة إلى غيره ، فإن عجز عن جميع ذلك ، فعليه بالدعاء وإظهار الحزن رقة عليه ، وعطفاً حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته .. (١) ، فالرحمة تأبى على صاحبها أن يعكف على ملذاته ومسراته ، وأن يتمتع بثروته ، وقد علم بجانبه مريضاً حرمه المرض لذة الحياة أو جائعاً حرمه الجوع لذيذ المنام ، أو منكوباً أصابته الأيام ، أو يتيماً يبكي أباه ، أو أرملة فرق بينها وبين عائلها القدر ، والرحمة تحمل صاحبها على أن يتألم لآلام الناس ، ويبكى لبكائهم ، فإذا رأى فقيراً أحس بآلام فقره ، وأثقال بؤسه ، وإذا رأى منكوباً تأثر بوطأة نكبته ، والرحمة تحمل صاحبها على أن يخفف الويلات ، ويمسح العبرات ، ويكافح الآلام ، ويدفع الأحزان ، ويحنو على الضعفاء والمنكوبين ، كما تحنو الأم الحنون على أبنائها ، يقول المنفلوطي : لو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ، ولا عريان ، ولا مظلوم ، ولاستقرت الدموع في المدامع ، واطمأنت الجنوب في المضاجع ، ومحت الرحمة الشقاء من المجتمع ، كما يمحو الصبح ظلام الليل .. (٢) ، ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين ، وإن كان دافع

(١) كتاب الإيمان والحياة - يوسف القرضاوي : ص/٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) مجلة المجاهد/مصرية ، العدد/١٣٢ ، جمادى الآخر ١٤١١هـ- ديسمبر ١٩٩٠م .

الإيمان المشترك يجعلهم أولى الناس بها ، وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعاً ، وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم ، فيما رواه الطبراني : "لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا : يا رسول الله ﷺ ! كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة" كما نبه الإسلام إلى إن هناك أقواماً مخصوصين ينبغي أن يحظوا بأضعاف من الرحمة والرعايا ، وهم الآباء ، والأبناء ، والأقارب ، والأيتام ، والمرضى ، وذوو العاهات ، حتى الحيوان ، لم يسكت الإسلام عن طلب الرحمة له ، و قد أعلن النبي الكريم ﷺ لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلباً ، فغفر الله لها ، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة ، حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ، فإذا كان هذا عقاب من حبس هرة بغير ذنب ، فماذا يكون الذين يحبسون عشرات الألوف من بني الإنسان بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ؟ وقال رجل : يا رسول الله ﷺ ! إني لأرحم الشاة أن أذبحها ، فقال : "إن رحمتها ، رحمكَ الله" (الحاكم) ، ورأى عمر رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها ، فقال له : ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً ، ويروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر ، نزلت حمامة بفسطاطه أي خيمته ، فاتخذت من أعلاه عشاً ، وحين أراد عمرو الرحيل رآها ، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه ، فتركه وتكاثر العمران من حوله ، فكانت مدينة الفسطاط ، ويروي ابن الحكم في سيرة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة ، وأنه كتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحداً بلجام ثقيل ، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة ، وكتب إلى واليه بمصر : أنه بلغني أن بمصر إبلاً نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فلا

أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل .. (١) .

رحمة الإنسان بنفسه تكون بالوقوف بها عند ما أمـر الله ، والانتهاء عما نهى عنه ، فلا يوردها موارد الهلاك ، ولا يكلفها من العمل ما لا يطـاق ، وأن يزكيها ، فلا يظلمها، فمن ظلم نفسه ، كمن ظلم غيره على حد سواء ، وألا تذل رقبته إلا الله ، وإلا يركع لأحد سواه ، وتظل الرحمـة مـع المسـلم في كل خطاه كسمة مميزة لشخصيته لا تنفك عنهـا ، قلباً وقالباً لكل أقوالـه ، ولكل أفعاله ، ومنهج لحياتـه ، وقاعدة لسـلوكياته في يومـه وليلتـه ، وتحكـم علاقاته مع من حوله ، فإن غيابها عن سلوكه يعني فسـاد سـعيه وضلالـه ، وغلبة الشقاء عليه ، فقد جعلهـا الله تبارك وتعـالى سـنة مـن سـنن الحيـاة ، ودعامة لاستمرارها ، وبدونها لن تقوم للحياة قائمة ، ولـن يسـتطيع البشـر النهوض بما خلقوا لـه مـن رسالـة ، فهـي سياج للأمـن و الأمـان في المجتمع .. (٢) ، وهي سر حياة هذه الأمة ، وبدونها تفقـد مقومـات قيامهـا ، فالصفات الطيبة الحميدة التي علىالمسلم أن يتحلى بهـا ، ويتصـف بهـا في تعامله مع أخيه المسلم تجدهـا تنمو وتزدهـر وتنتشـر في جـو مـن الرحمـة والألفة ، والعكس بالعكس إذا وجد الجفاء ، والشدة في التعامل انفتح المجال للصفات غير الحميدة ، وقد حض الإسلام علـى نشـر أشـعة الرحمـة بـين أركان المجتمع المسلم لتدفئة كل فرد مـن أفـراده ، والتـي كلمـا قويـت ، و اتسع مداها شملتنا الرحمـة الإلهيـة ، والتـي نحن في أمس الحاجة إليها .

"اللهم إني أسألك موجبات رحمتك"

★★★

(١) كتاب الإيمان والحياة - يوسف القرضاوي : ص/٢٨٩-٢٩٠ .

(٢) مجلة المجاهد/مصرية ، العدد/١٣٢ ، جمادى الآخر ١٤١١هـ- ديسمبر ١٩٩٠م .

"الزفـاف و آدابـه"

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض

في العطلة الصيفية غالباً ، حيث يتفرغ الشباب والشابات للراحـة بعد عناء عام دراسي ، وتغلق أبواب المـدارس والجامعـات ، لنهايـة العـام ، واسـتعداداً لعـام آخـر .. تكـون هـذه العطلـة هـي الوقـت المناسـب لعقـد القرانات ، وبدء الفتيان والفتيات في بناء عشّ الأسرة الجديدة ، ليكمـل كـل منهما نصفه الآخر ، وليستقرّ نفسياً واجتماعياً ، إنها حكمة الله البالغة ، بأن يكون في كل من الجنسين الميل إلى الآخر ، ليمتدّ الفرع ، بجـذور الأصـل .. وليعمر الله بهـذا التناسـل الأرض ، لأداء مهمـة العبـادة لله : ﴿ وَمَـا خلقـتُ الجنّ والإنس إلا ليعبُدُون ﴾ .

إن للزواج آداباً ، يحسن بالناس أن يدركوها ، ويهتمّوا بها ، فليس الزواج مظاهر يتباهى فيها القادرون بما لا يسـتطيعه مـن دونهـم ، وليسـت حفلات الزواج ، وتكاليفه ، سـوقاً تجاريـةً معرّضـة للمزايـدات والتفـاخر ، وإن كل مجتمع يهتم بالمظاهر والاستعلاء ، ليضع العراقيل أمام الشـباب في تحصـين أنفسـهم ، و تكـون البيـوت المانئـة الهادئـة ، التـي ترفـرف عليهـا السعادة ، وينمو في أفياء دوحتها أجيال المستقبل : أمل الأمة ، ورجال الغد ، بكل مفاهيم الحياة ..

إن للاقترانات الزوجية ، آداباً أسمى من ذلك ، كما جاء في الحديـث النبوي الشريف : "خير النساء أيسرهن مهراً" ، وأهدافاً بعيدة المدى ، تعود على الفرد من النوعين بالهدوء والاستقرار ، يقول سبحانه : ﴿ ومن آياته أن

خلق لكم من أنفسكم أزواجاً * لتسكنوا إليها * و جعل بينكم مودّةً ورحمةً * إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم/٢١] ، فالمودة والرحمة ، والسكن وعفّة الجنسين ، والتناسل والتفاهم في تربية الأولاد من أهداف الزواج المفيدة ، وهي تعود على الأسرة ، التي بها يتكوّن المجتمع ، وتتأصل العلاقات ، ويدوم البرّ والتعاطف ، علاوة على المودة والرحمة التي ذكر الله سبحانه ، بقرّة العين ، وسلامة الصحة ، يقول سبحانه في صفة المؤمنين : ﴿ والذين يقولون : ربّنَا هبْ لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين * واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ [الفرقان/٧٤] .

كما يعود الزواج على المجتمع ، بالأمن والأمان ، والتّعاضد في بناء الأمة والدفاع عنها ، وذلك بكثرة النسل ، وحسن تربيتهم التربية الدينية السليمة ، وفق تعاليم هذا الدين ، وأسسه العقدية والعملية ، يقول ﷺ : "تزوّجوا الودود الولود ، فإني مكاثربكم الأمم - وفي رواية : الأنبياء - يوم القيامة" . [رواه الإمام أحمد ، والطبراني ، وصححه ابن حبان عن أنس بن مالك]

فالزواج الذي يكثر موسمه في العطل الدراسية ، وفي الصيف بصفة خاصة ، جعله الله تواصلاً بالنّسل ، لإعمار هذه الأرض ، في الحياة الدنيا ، وليبلو سبحانه بني آدم في دنياهم ، أيّهم أحسن عملاً ، حيث أرسل جلّ وعلا الرسل ، وأنزل الكتب ، وبان بذلك طريق الخير لمن وفقه الله ، وطريق الشرّ لمن كتبت عليه الشقاوة ، عناداً وصداً عن سبيل الله .. و أبان كتاب الله ، أن أنبياءه ، وهم صفوة الخلق يتزوجون ، ولهم ذرّية ، ولنا فيهم أسوة حسنة .

هذا الزواج جعلت تعاليم الإسلام له آداباً ، تتمثل في الحكمة الشرعية منه ، والانطلاق فيه منذ البدء في الحاجة إليه ، والقدرة عليه ، من تعاليم هذا الدين ، الذي لم يترك رسول الله ﷺ في حسن التوجيه والرعاية ، شاردة ولا واردة ، إلا علّمها للأمة ، فبصّرهم بما ينفعهم ، ونهاهم عما يضرهم .

هذا الزواج الذي رسم فيه رسول الله ﷺ منهجين بسيطين : الإعلان به ، و إظهار الفرح لتضرب النساء الدفوف ، و تتغنّى بمآثر الزوجين ، والدعاء لهما بالذرية ، وفي هذا تميز بين النكاح والسفاح : الحلال المباح ، والحرام الذي يعاقب فاعله ، لأنه فاحشة ، وساء سبيلاً .

والبساطة في تكاليفه مهراً ، و وليمةً "أولم ولو بشاة" ، وقد أمر رسول الله ﷺ الذي لم يجد شيئاً ، أن يجعل مهر زوجته ما تيسر من القرآن ليعلّمها .. والآخر أمره أن يتلمّس ، ولو خاتماً من حديد .

تبدأ آداب الزواج : بحسن اختيار الزوجة ، وأن يكون بين الزوجين تكافؤ ، من كافة الوجوه ، حتى تستقيم العشرة ، وتتحقق المودة والرحمة ، التي جعلها الله من آياته ، عاطفة بين الزوجين ، وتفاهماً ومودةً مقرّها القلب .. يقول ﷺ : "تنكح المرأة لأربع خصال : لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك" .. وما ذلك إلا أن الجوهر هو الدين ، وهو محور الأعمال كلها ، صلاحا واستقامة .. والخصال الأخرى ، وقتيّة قد تزول ، أو تكون سبباً لتكدير صفو الحياة الزوجية ، ما عدا الدين فإنه مجمع الخصال كلها ، وهو أجمل جمال في المرأة ..

وما ذلك إلا أنه سبب لكل خير ، ومنبع للراحة النفسية ، ومصدر للقناعة والرضا .. علاوة على شئ مهم جداً ، وهو انعكاسه على الأولاد ، وأثره في حياتهم ، وبيت تأسس على الدين ، يصبح ثابت الأركان ، لا منفصات فيه ، حيث يسكن فيه قلبا الزوجين ، في عشرة حسنة ، ويحافظ كل منهما على راحة الآخر ، وهناءة باله ، ويأتي مع حسن اختيار الزوجة ، التأكد من الصفات المعينة على ديمومة العشرة ، والبذرة الصالحة ، مثل : خلوّ الطرفين من الموانع الخِلْقيّة والخلقيّة ، التي قد تكون من مسببات عدم تحقق المودة والرحمة ، وعدم توافر السكن الوجدانيّ لتبدأ المشكلات ، وتتكاثر يوماً بعد آخر المنفصات ، وذلك في مثل : العقم الذي لا يتحقق معه

الذرّية ، حيث أودع الله غريزياً في كل من الزوجين حبّ الولد ، يقول سبحانه في قصة زكريا : ﴿ ربّ لا تذرني فرداً * وأنت خير الوارثين ﴾ .
[سورة الأنبياء/٨٩]

ومن تكافئ الزوجين اختيار الزوجة ، وكذا الأب عند ما يختار لابنته ، الصفات الحميدة في كل منهما ، والمنبت الحسن ، وما ذلك إلا أن سلامة النسل من الأمراض الوراثية ، أو الصفات والأخلاق التي تأتي تقليداً من المنشأ ، مطلب يحرص عليه كل من الزوجين ، وأسرتيهما ، يقول عمر بن الخطاب ﷺ : "اختاروا لنطفكم ، فإن العرق دسّاس" ، فعمر ﷺ ، وهو أحد الخلفاء الراشدين ، الذين أوصى رسول الله ﷺ بالتمسك بسنتهم بعد وصايته ﷺ التمسك بسنته ، يريد سلامة النسل في المجتمع الإسلامي ، من أمور تأتي وراثية سواء كانت في الطباع كالعقوق وقطيعة الرحم ، أو في الجريمة وسوء الأدب ، أو في النواحي الصحيحة ، التي بدأ الطب الحديث يكتشفها في علم الجينات ، والمورِّثات ، ومن ذلك الابتعاد عن الزواج من الخارج لمسببات كثيرة أهمها رابطة النّطف ، ولأن آداب الزفاف التي حثّ عليها الإسلام ويجب أن يتأدب بها المسلمون ، كثيرة ، فسوف نلمّ بما تيسر ومن ذلك :

= عدم تقليد النصارى وغيرهم في خاتم الخطوبة ، أو ما يسمونه : "الدّبلة" ، لسببين مهمين ، الأول : أنه من الذهب ، والذهب والحرير محرم لبسهما على الرجال ، بأي حال ، ما لم يكن لسبب شرعيّ ، ويتأكد ذلك في التحلّى والزينة .

الثاني : أن هذا الخاتم يعود إلى عقيدة التثليث عند النصارى قديمة ، حيث كان العريس يضع الخاتم على رأس إبهام اليسرى ، ويقول باسم الأب ، ثم ينقله واضعاً له على رأس السّبابة ، ويقول باسم الابن ، ثم يضعه على رأس الوسطى ، يقول : وباسم : روح القدس ، وعند ما يقول : آمين ،

يضعه أخيراً في البنصر حيث يستقر ، وهذا كناية عن استمرار الحياة الزوجية ، لأن من تعاليم الكنيسة التي بدّلت بها دين عيسى عليه حسب مؤتمر نيقيا ، وحرّموا فيه الطلاق والتزوج بأكثر من واحدة ، كما أن رسول الله ﷺ نهى عن التشبه بأهل الكتاب ، وأمر بمخالفتهم ، وقال : "مَن تشبه بقوم ، فهو منهم" .

= ملاطفة الزوجة عند البناء بها ، بالحديث أو بشئ من الشراب المباح ، حتى ترتاح نفسها ، لهذا الغريب الذي سيكون والد أولادها بهذا القران ، والملاطفة تكون بمدخل حسن ينبئ عن حسن خلقه ، كما عمل ﷺ في ليلة البناء بعائشة رضي الله عنها ، وروت ذلك أسماء بنت السّكن التي زينتها لرسول الله عليه الصلاة والسلام .

= النظر إلى الزوجة عند الخطوبة ، بدون خلوة ، حتى ترتاح النفوس ، بما يحصل من رغبة قلبية أو نفور ، فلا يتمّ شئ ، لأن "الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تنافر منها اختلف" ، وقد وجّه رسول الله ﷺ بقوله الكريم : "هلاّ نظرت إليها ، ونظرت إليك" لأن للعين نظرة ، تصل إلى القلب ، وقرن رسول الله ﷺ ذلك : "بما لعيون الأنصار رضي الله عنهم من نظرة" ، وبأن هذه النظرة ، قد تكون كالإدام لكل من الزوجين ، حتى لا يفاجأ كل منهما بما لا ترتاح إليه النفس من الآخر ، فيكون من ذلك النفرة والفشل من الأيام الأولى .

= ومن الآداب التي علّمها رسول الله ﷺ أصحابه : أن تبدأ الحياة بين الزوجين من أول ليلة بالدعاء والصلاة ، ليكون في ذلك بركة و وفاق ، فبالدعاء ينبغي أن يضع يده على مقدمة رأسها ، وأن يسمى الله سبحانه ، ويدعو بالبركة ، ويقول ما ورد عنه ﷺ : "إذا تزوج أحدكم امرأة ، أو اشترى خادماً ، فليأخذ بناصيتها ، وليسمّ الله عزّوجل ، وليدع بالبركة ، ويقول : "اللهم إني أسألك من خيرها، وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من

شرّها وشرّ ما جبلتها عليه" ، رواه البخاري وغيره ..

وقبل ذلك إذا عزم على الزواج من امرأة والمرأة مثل ذلك مع الرجل : الاستخارة ، و ذلك بصلاة ركعتين ، ثم الدعاء المأثور برجاء مع الله : "اللهم استخيرك واستهديك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر و لا أقدر ، و أنت على كل شئ قدير ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الزواج - من فلانة - أو - من فلان - خيّر لي في ديني ودنيايي وعاقبة أمري فاقدره لي ، ويسره لي ، وإن كنت تعلم أن الزواج ، ويسميه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني ، وأصرفني عنه ، واقدر الخير حيث كان ثم أرضني به" .

= ومن آداب الزفاف : أن ينوي الزوجان بنكاحهما ، ما تدعو إليه تعاليم الإسلام ، من كونه اعفافاً لهما عن كل ما حرم الله عليهما ، وأن يغضا بصرهما عما حرم الله ، وأن يكون قصدهما إحصان نفسيهما عن الوقوع في الحرام ، وأن يكثرا الذرية التي يفاخر بهم رسول الله ﷺ يوم القيامة ، فإن مبا ضعتهما تكون صدقة يحصلان بها الأجر بالنية الصادقة ، لما جاء في حديث أبي ذر ﷺ : "أن ناساً من الصحابة ، قالوا : يا رسول الله ﷺ ! ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلّون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وأمر بمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله ﷺ ! أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ قالوا : بلى ، قال : فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر .. الحديث" ارواه مسلما .

= والوليمة من آداب الزواج لأنها سنة ، ولأنها إظهار للزواج ، والفرح به ، ويرى بعض العلماء أن إجابة الدعوة للوليمة من آكد السنن ،

وأوجبها آخرون .. وقد قال ﷺ : "أولم ولو بشاة" ، ولذا يجب مراعاة عدم المبالغة في الوليمة ، وعدم الإسراف والتبذير ، لان الله جلّت قدرته نهى عن الإسراف ، وكذا التبذير ، وقال عن المبذرين : ﴿ إن المبذرين : إخوان الشياطين ﴾ . [الإسراء/٢٧]

والوليمة المشروعة صبيحة البناء ، وعلى المدعوين الاستجابة ، قدوة برسول الله ﷺ ، لما في ذلك من الألفة ، والمحبة ، وللدعوة للعروسين بالتوفيق ، والذرّية الصالحة ..

ومما يثبّت الألفة والمحبة ، إحياء السنة بأن يأتي الزوج صبيحة أول يوم : أقاربه الذين أتوه في داره ، ويسلم عليهم ، ويدعو لهم ، وأن يقابلوه بالمثل : صلةً وبراً ، وتهنئةً ودعوات ، لأن رسول الله ﷺ ، صبيحة بنائه بزينب بعد ما أولم ، خرج إلى أمهات المؤمنين ، ودعا لمن وسلّمن عليه ، ودعون له عليه الصلاة والسلام .. لأن هذا أدب نبوي كريم ، يحسن أخذه قدوة وعملا ، لما فيه من نزع لما قد يخالج القلوب من نفرة .

= وإن من آداب الوليمة الاقتصاد ، وكذا المهر ، وعدم المبالغة والفخر ، بل يكتفي بإظهار السنة ، وبما لا يرهق ، وما زاد على ذلك ، يدخّره الزوجان لحياتهما ، ولبيتهما تأثيثاً وتكميلاً ، حتى لا يرهق الزوج بالديون ، ويتجرّع الخسائر، التي ينوء بها كاهله ، وتستولى على هواجسه ، فترة طويلة من الزمن .. وعلى ولي أمر الزوجة أن يكون عوناً للزوج وأهله في هذا ..

= ويستحب للزوج في أول لقاء مع زوجته أن يفتتحا هذا اللقاء بالصلاة ، هو وهي ركعتين ، وكان ابن مسعود يقول بعد الركعتين : اللهم بارك لي في أهلي ، وبارك لهم فيّ ، اللهم اجمع بيننا في خير ، وفرّق بيننا إذا فرقت إلى خير .. اللهم ارزقهم مني ، وارزقني منهم ، و عند اتيان أهله ، يقول : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا .

★ أخبار الطفيليين :

ذكر الخطيب البغدادي في كتابه التطفيل : أن المأمون أمـر أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سمّوا له من أهل البصرة ، فجُمعوا وأبصرهم طفيليّ ، فقال : ما اجتمع هؤلاء إلا لمائدة ، فانسلّ ودخل وسطهم ، ومضى بهم الموكّلون حتى انتهوا بهم إلى زورق قد أعدّ لهم ، فدخلوا الزورق ، فقال الطفيليّ : هي نزهة فدخل معهم الزورق ، فلم يك بأسرع بأن قيد القوم ، و قيد معهم الطّفيلي ، فقال : بلغ تطفيلي إلى القيود ، ثم سيّر بهم إلى بغداد ، فدخلوا على المأمون ، فجعل يدعو بأسمائهم رجلاً رجلاً ، فيأمر بضرب أعناقهم ، حتى وصل إلى الطّفيليّ ، وقد استوفى عدة القوم ، فقال للموكّلين بهم : ما هذا ؟

فقالوا : والله ، ما ندري ، غير أن وجدناه مع القوم فجئنا به ، فقال المأمون : ما قصّتك ويلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! امرأتي طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئاً ، ولا أعرف إلا الله ، ومحمداً رسول الله ﷺ ، وإنما أنا رجل رأيتهم مجتمعين ، فظننت طعاماً يفدون إليه .. فضحك المأمون ، وقال : يؤدب .

وكان إبراهيم بن المهدي قائماً على رأس المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي أدبه ، أحدّثك بحديث عجيب عن نفسي .. فقال : قل : يا إبراهيم ! قال : خرجت من عندك يوماً في سكك بغداد متطرّباً ، حتى انتهيت إلى موضع سماه ، فشممت يا أمير المؤمنين ! من جناح أبازير قدور قد فاح طيبها ، فتاقت نفسي إليها ، وإلى طيب ريحها ، فوقفت على خياط ، وقلت له : لمن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرميت بطرفي إلى الجناح ، فإذا في بعضه شباك ، فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك ، قابضة على عضد ومعصم ، فشغلني ، يا أمير المؤمنين ! حسن الكف والمعصم ، عن رائحة

القدور ، وبقيت باهتاً ساعةً ، ثم أدركني ذهني ، فقلت للخياط : هل عنده دعوة ؟ قال : نعم ، وليس ينادم إلا تجاراً مثله ، مستورين ، فإني لكذلك إذ أقبل رجلان نبيلان ، راكبان من رأس الدرب ، فقال الخياط : هؤلاء منادموه ، فقلت : ما أسماؤهما وما كُناهما ؟ فقال : فلان وفلان .. وأخبرني بكناهما ..

فحركت دابّتي داخلتهما ، وقلت : جُعلْتُ فداكما ، قد استبطأكما أبو فلان أعزّه الله ، وسايرتهما حتى أتيا إلى الباب ، فاجلاّني وقدّماني ، فدخلت ودخلا ، فلما رآني معهما صاحب المنزل ، لم يشك أني منهما بسبيل ، أو قادم قدمت عليهما من موضع ، فرحب وأجلسني في أفضل المواضع .. فجئ بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أطيب من ريحها .. فقلت في نفسي : هذه الألوان قد أكلتها ، وبقيت الكفّ ، كيف أصل إلى صاحبتها ، ثم رفع الطعام ، وجئ بالوضوء .. ثم صرنا إلى منزل المنادمة .. واستظرفني وبعد انتهاء المنادمة خلوت معه .. فقال معجباً : من أنت يا مولاي ؟ وبعد الإلحاح أخبرته بخبري وقصّتي مع الكف والمعصم ..

فقال : أما الطعام فقد نلت منه ، ثم نادى على جواريه واحدة واحدة ، فأنظر إلى كفها ومعصمها ، فأقول : ليست هي ، فقال : والله ما بقي غير أمي وأختي ، والله لأنزلهما إليك ، فعجبت من كرمه وسعة صدره ، ابدأ بأختك ، فنزلت فلما رأيت كفها ومعصمها ، قلت : هي ذه .. فأمر غلمانه فأحضروا عشرة مشايخ ودفع صداقها وأشهدهم ، فقبلت النكاح ، فحملتها إلى منزلي فجعل الله فيها ، وأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين ، فعجب المأمون من كرم الرجل . [١٠٥-١٠٧]

★★★

في النقد والأدب :

حول إشكاليات النقد التطبيقي لدى أدباء "الإسلامية"

[٢/الأخيرة]

بقلم : أ.د/عماد الدين خليل
(جمهورية مصر العربية)

ثمة مسألة أخرى تلك هي عدم اعتماد خطة أصيلة في التعامل مع العمق التراثي الذي ينطوي على موروث نقدي خصب ، ولكن قبوله على عواهنه قد يحمّل نقادنا بما تنوء به كواهلهم ، ويضعهم تحت وقر التاريخ ، كما أن رفضه بالكلية سوف يقتلعهم من الجذور ، ويفقدهم فرصة التنامي العضوي السليم ، والإفادة من الإضاءات ، والكشوف المبكرة والقيّمة لهذا الموروث .

إننا هنا أيضاً نجد أنفسنا قبالة صنفين من نقاد "الإسلامية" ، أحدهما يوغل في الالتصاق بالتراث ، ويدين كل من لا ينطلق من مقولاته ، وقد يدفعه هذا إلى رفض جلّ المفاهيم "المعاصرة" للأدب الإسلامي ، ويتمرّد ثانيهما على التراث معتقداً بأن التحرر من وقره سيتيح للأدب الإسلامي عامة ، والجهد النقدي على وجه الخصوص ، الفرصة للتحقق أكثر بمفاهيم المعاصرة تلك ، وتجاوز التعلق غير المجدي برفوف الكتب العتيقة ، التي لم يعد "العصر" يقبلها أو يتوافق معها .

والموقفان مرفوضان ابتداء ، وعلى نقاد الإسلامية أن يتداعوا للبحث عن جزر مشتركة يستدعي فيها العمق التراثي لتأصيل الجهد النقدي ، ومنحه شخصانيته وخصوصياته ، وتلغى - في الوقت نفسه - حلقات الضعف فيه ، ويتمّ التحرر مما لم يعد صالحاً للمرور في أروقة

العصر ، وأنشطته النقدية ، وكشوفه التي قد تكون أكثر جدوى من التشبث بمعطيات القدماء .

ابتداءً ؛ يتحتم علينا أن ننظر إلى التراث بوصفه معطى بشرياً ينطوي على الصواب والخطأ ، فيه ما هو إبداعي ، وما هو اجتراري ، وقد يكون في العديد من مفرداته وليد بيئة ما أو زمن محدّد ، وبالتالي فإنه لا يحمل صفة الإلزام ، ونحن لسنا ملزمين بحمله على كواهلنا والمضي به عبر الحاضر إلى المستقبل ، وهو لا يحمل طابع القدسية على أية حال ، وفي آيتين كريمتين يحررنا كتاب الله من أعمال الأجيال الماضية : ﴿ تلك أمّةٌ قد خلتْ * لها ما كسبت * ولكم ما كسبتم * ولا تُسألون عمّا كانوا يعملون ﴾ [البقرة/١٣٤-١٤١] ، وهو يدين الكفار لتشبثهم الأعمى بتقاليد الآباء والأجداد : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة * وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [الزخرف/٢٣] ، وعليه فنحن نستطيع أن نتعامل مع التراث بكل حرية ، نقبل ونرفض ، نفكك وننتقي ، نعيد التركيب في ضوء ما تقود إليه هذه العملية من بناء لأنفسنا وتأكيد لوجودنا .

ونحن بقدر ما نرفض التعبّد للتراث والتقديس لمفرداته ، نرفض في الوقت نفسه العبث بمقدراته ، والتعامل معه بمعايير يؤتى بها من خارج الدائرة الإسلامية فيما يجعلها لا تصلح - ابتداء - للوصول إلى نتائج مقبولة .

إننا أحرار في تعاملنا مع التراث شرط أن نكون مخلصين لخصوصياتنا ، وعقيدتنا ، وثوابتنا ، وتاريخنا ، ذلك أن التجذّر في التراث - من جهة أخرى - ليس ترفاً واختياراً ، ولكنه قدر كل فاعلية ثقافية تسعى لأن يكون لها مكان في العالم من خلال تشبثها بالشخصية المتفردة والملامح ذات الخصوصية ، ولن يكون هذا بدون الامتداد صوب البعد التاريخي ، أو العمق التراثي ، للتحصّن به والاستهداء بمعطياته ، جنباً إلى جنب مع الأصول العقدية التي تشكل قاعدة العمل الأساسية وبوصلة الانطلاق والتوجيه .

هنالك حقيقة طالما غابت عن أذهاننا ، ونحن نتحدث عن التراث والمعاصرة ، رغم أنها قد تكون بداهة من البداهات ، وهي أن المعطى التراثي نفسه كان ساعة تشكله معاصراً ، بمعنى أنه وليد اللحظة التاريخية بكل مكوناتها ، ومؤثراتها ، وموروثها التراثي القادم من نقطة زمنية في الماضي ، ولم يكن - بالتالي - مأسوراً بسلطة التراث الذي يسبقه في الزمن ، قد يتأثر به ، ويتلقى عنه ، ولكنه لا يعكسه كالمرآة أو الناسوخ دونما إضافة أو إبداع .

هذا إلى أنه من المعروف لدى الدارسين أن التعامل مع الموروث الثقافي ، ومعطيات الآباء والأجداد بشكل عام ، إما أن يعتمد صيغة اتباعية تمارس التقليد والاجترار ، ولا تكاد تضيف جديداً ، أو صيغة إبداعية لا تتنكر للموروث ، ولكنها - في الوقت نفسه - لا تسمح بأن تقع في شباكه .

و ثمة - أخيراً - غياب "المنهج" الذي يعين الدراسة الأدبية ، بما تنطوي عليه من جهد نقدي ، على المضيّ إلى هدفها وفق خطة مبرمجة سلفاً .

قد يقول قائل : إن المنهج قد يحدّ من حرية الدارس أو الناقد في التعامل مع العصر أو الظاهرة أو النصي ، وأن من الأولى به أن يتحرر من كل حكم أو ضابط مسبق للوصول إلى نتائج أكثر دقة ، ولكن هذا الاعتراض ليس سوى جانب من الصورة ، أما الجانب الآخر ؛ فهو أن المنهج أيا كان : نفسياً ، أو اجتماعياً ، أو جغرافياً ، أو تاريخياً ، أو بنيوياً ، أو تفكيكياً .. إلخ ، يقدم للدارسين والنقاد كشوفاً في غاية القيمة لتحقيق مقاربة أشد للعصر ، أو الظاهرة الأدبية ، أو النص الإبداعي .

ابتداء ، يمكن أن نلاحظ حشداً من المفردات والتقنيات ، وصيغ التعامل الإسلامي مع الآداب الأخرى ، يمكن في حالة لـمّه ، وإضاءته تبين ملامح أو أوليات منهج متميز ذي خصائص مستقلة في دراسة الأدب ،

ولكنه يكاد يضيع عبر تفرّقه في الأنشطة الدراسية ، والنقدية الإسلامية ، بحيث يصعب على المرء أن يقول بصيغة الجزم : ها هو ذا المنهج الإسلامي في الدراسة الأدبية .

إن هذه مسألة مهمة ، فإن مجموع معطيات الإسلاميين في طبقات الجهد الأدبي الخمس الأخرى (الإبداع ، المذهب ، النقد التطبيقي ، الدراسة الأدبية ، والتنظير) يشكل ولا ريب بذور منهج للدراسة يكتسب من الرؤية الإسلامية خصائصه ومكوناته ، وإذا كان لهذا الأدب منظوره المتميز للإبداع ، وللتأثيرات الزمنية والبيئية ، فإن منهجاً متميزاً للدراسة الأدبية سيتمخض بالضرورة عن هذا كلّه ، وقد يحتاج الأمر إلى وقت كاف لبلورة الملامح ، إلا أن المسألة التي لا ريب فيها هي أن المواد الأولية لتشكيل المنهج قد أخذت تتجمع في أيدي الدارسين ، ويجب أن نتذكر بأن الجهد النقدي يمضي - في كثير من الأحيان - لكي يغذّي منهج الدراسة .

البنيوية مثلا هي في إحدى معطياتها الأساسية مشروع عمل نقدي ، لكنها في الوقت نفسه تضع منهجاً للدراسة الأدبية رغم أن هذا ليس محتوماً بالنسبة لكل المذاهب ، فالوجودية - على سبيل المثال - لم تبلور منهجاً للدراسة الأدبية ، بل إنها لم تتمخض حتى عن تقنيات متميزة في الإبداع ، اللهم إلا في لغة التعبير ، فالمهم أن تكون على مستوى المضامين ذات تميّز رؤيوي ، ولن يكون بمقدور (الإسلامية) أو أي مذهب آخر أن تتجاوز الإرث التقني للرواية مثلاً ، فتنشئ صيغاً متميزة جديدة ، وحتى الاشتراكية الماركسية على عنف ثورتها في مجال المضامين وجدت نفسها مرغمة على احترام قواعد النوع الأدبي ، ولم يشذ عن هذا سوى المسرح لأسباب فنية صرفة .

وفي مقابل هذا فإن مناهج الدراسة الأدبية تنشأ في كثير من الأحيان مستقلة عن المذهب ، وتقدّم برنامج عمل لمتابعة آداب الجماعات

والشعوب يمكن أن يوظف لدى المذاهب والتيارات الأدبية التي تجد في المادة المنهجية فرصة مناسبة لمقاربة ، وإدراك الظواهر الأدبية .

بعبارة أخرى ، يمكن اعتبار مناهج كهذه أدوات حيادية قد تكون صالحة لتسخيرها من قبل هذا المذهب ، أو التيار الأدبي ، أو ذاك ، من أجل إضاءة الدراسة الأدبية ، ومنح الدراسين فرصاً أكثر لإتقان مهمتهم ، والوصول إلى نتائج أكثر سلامة ، وهكذا فإن المنهج النفسي - مثلاً - قد يخدم الدارس الإسلامي للأدب دون أن يشكل هذا أيّ ارتطام أو تناقض مع مفرداته المتميزة ، فقط إذا عرف كيف يوظف المقاطع والمفردات المنهجية المتساوقة مع قناعاته وتصوّراته .

ويجب أن نلاحظ - كذلك - أن المنهج الإسلامي يتجاوز معياريته الصرفة إلى نوع من التحليل الشمولي المنبثق عن تميزه المذهبي في تعامله مع الآداب الأخرى على مستويي التقنيات والمضامين : فهو - على سبيل المثال - لا يصنّف الأدب الواقعي الاشتراكي في حظيرة الأدب اللاإسلامي لكونه لا يحمل قيما إسلامية فحسب ، بل لكونه يستمدّ من تحليل للدوافع والمبرّرات هو في أساسه خاطئ محدود ، كما أن هذا المنهج قد يتقبّل ويقوّم أدباً غير إسلامي في انتمائه الديني ، أو المكاني ، لكنه يلتقي مع الرؤية الإسلامية في شموليتها .

والآن .. هل إن هذا المنهج يميل إلى المكانية أو الزمانية ؟ هل هو منهج نفسي أو اجتماعي ؟ هل هو منهج فنّي صرف (الأجناس ، والفنون ، والمذاهب الأدبية) ؟ أم هو منهج علمي ؟ أم أنه منهج توفيقي شمولي يتضمن هذه الأبعاد جميعاً ، أو بعضها في الأقل ؟ وهل ثمة ما يمنعه من الأخذ أو الإفادة من إضاءات المناهج كافة ، في جوانبها الحرفية الصرفة ، لكي يشكل ملامحه الخاصة ؟ وكيف ستنطوي هذه الملامح على خصوصيتها المتميزة إذا كانت تبني معمارها أساساً على الاقتباس من سائر المناهج الأدبية

الوضعية ، إذا صح التعبير ؟ وهل يمكن ، تجاوزاً لا شكالية كهذه أن يتم الأخذ وفق معايير وضوابط إسلامية تنبثق في أساسها عن أدب متميز ذي رؤية ومواصفات مستقلة ؟ وفي حالة كهذه سيتاح للمعنيين بتأسيس المنهج فرصة الانتقاء الذي يحمل حساسيته الرؤيوية ، وحتى التقنية ، إزاء ما يجب أن يأخذ ، وما يجب أن يترك ، بحيث نستطيع حينذاك أن نطمئن إلى أن المنهج الدراسي الإسلامي سوف لا يضيع في غمار المناهج الأخرى ، وهو يتعامل معها ، فيفقد ملامحه وشخصيته ؟

ثم ألا يتحتم على هذا المنهج المقترح ، والذي لا يقل ضرورة عن أي من مطالب النشاط الأدبي في جملته ، أن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكذلك إلى التراث الأدبي للأجداد ، لكي يضع يديه على بعض الأوّليات التي تعينه على تأصيل شخصيته من خلال تجذّر المنهج في العقيدة والتراث ، وحينذاك لن يكون التعامل مع مناهج الغير مجازفة غير مأمونة العواقب من خلال الاتكاء على المعطيات الجاهزة ، وتلفيق منهج دراسي من أجزائها وتفاريقها ؟

هذا وغيرها من الأسئلة والمعضلات المعلّقة ، هي بأمس الحاجة إلى إجابة مقنعة ، تتجاوز الإنشائية إلى قدر من التوثيق الذي يجعلها قديرة على بناء المنهج بما يجعله إسلامياً حقاً .

وليس من مهمة هذه الصفحات أن تقدّم ، أو تقترح ، صيغاً لتشكيل المنهج الدراسي ، ولعل هذا يتحقق عبر جهود متواصلة للعديد من المعنيين ، وإنما التأكيد فقط على أن غياب المنهج الدراسي في معمار الأدب الإسلامي ، يمثل تحدياً مثيراً قد يدفع الإسلاميين إلى الاستجابة له من أجل ردم هذه الهوّة واستكمال البناء .

ولكن ثمة ما قد يخطر على البال ويلحّ عليه هاهنا ، وهو أن المنهج الإسلامي قد يكون ، بشكل أو آخر ، منهجاً شمولياً ، يتضمن المكاني

والزماني ، النفسي والاجتماعي ، الفنّي والعلمي .. إلخ .. ليس على سبيل التلفيق بين المناهج لتجاوز إشكالية غياب المنهج الإسلامي ، وليس على سبيل الانبهار بجوانب من تلك المناهج ، واستعارتها لتشكيل المنهج الإسلامي ، كما أنها ليست من قبيل الاجتهاد الشخصي كذلك الذي مارسه (ستانلي هايمن) في كتابه : (النقد الأدبي ومدارسه) بصياغته المذهب الشمولي في النقد ، وإنما لأن الرؤية الإسلامية هي في أساسها رؤية شمولية ، بل إن ما يميز الإسلام نفسه عن سائر المذاهب ، و الأديان المحرّفة والوضعية ، إنما هي شموليته .. قدرته على لمّ سائر الأطراف ، والقضايا في معادلة وضع الإنسان في العالم .. تجاوزه بتصميم إلهي معجز ، أيما انكماش أو انحراف أو انحياز لجانب ما على حساب الجوانب الأخرى .. إنما هو التوازن ، والوسطية ، والتغطية الشاملة للمادي والمعنوي ، للفردي والجماعي ، للزماني والمعاني ، للمنظور والمغيّب ، ولسائر الثنائيات ، والتفاريق في نسيج الكون ، وبنيان العالم ، وتكوين الإنسان .

ألا يجدر بالمنهج الإسلامي الذي يدرس الأدب ، والأدب في بدء التحليل ونهايته تعبير عن الإنسان ، وهو بالتالي واحد من أكثر المعطيات البشرية التصاقاً بهموم الإنسان ، وطبيعة خبراته عبر تعامله مع العالم والاشياء .. ألا يجدر به أن يستمد مقوماته من شمولية العقيدة التي ينبثق عنها ، لا سيما وإنه يتعامل مع صيغ التعبير عن التجربة البشرية ، وبالتالي ينسج حيثياته من مطالب هذه الشمولية ، فيأخذ بكافة الصيغ التي تضيئ النشاط الدراسي لآداب الأمم والجماعات والشعوب ، فلا يكاد يغفل عاملاً منها ما دام أنه يخدم هذا التوجه الشمولي ، ولا يرتطم في أساسه ببداهات العقيدة وتوجّهاتها ؟ فالأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نصّ بتقييده ، كما تقول القاعدة الفقهية .

و على هذا ؛ فإن المكان و الزمان ، و النفس و المجتمع ، و الذات و

الموضوع ، والعلم والفن .. إلخ .. يمكن أن تنطوي في المنهج الإسلامي للدراسة الأدبية ما دام أن هذه جميعاً مجرّد أدوات أو خبرات منهجية للوصول إلى المطلوب ، وحينذاك ، وفي ضوء هذا كلّه ، يمكن الإفادة من المناهج المشار إليها آنفاً ، مع التحفظ إزاء المفردات التي تندّ أو ترتطم بالرؤية الإسلامية ، ومع ملاحظة إلحاح العقل الغربي الذي صاغ معظم هذه المناهج ، أو وضع ملامحها النهائية ، على الرؤية الأحادية التي تبالغ في تقدير قيمة (الحالة) التي تتعامل معها على حساب الحالات الأخرى .

وإذا كانت التقنيات ، في الأغلب ، مجرد أدوات أو جسور للعبور إلى الهدف ، وهو في الموضوع الذي بين أيدينا تفسير الظاهرة الأدبية التي تتمحور عند مضامين معينة في هذه المرحلة أو تلك ، وفي أدب هذه الأمة أو تلك ، فإن المضمون الإبداعي نفسه سيكون بمثابة الحكم الفصل في منهج الدراسة ، وها هنا ، بالنسبة للمنهج الإسلامي ، سيكون التعامل مع المضمون متميزاً محدّداً واضحاً ، من خلال القيم والمعطيات الإسلامية ، والايمانية عموماً ، بمعنى آخر ، إن منهج الدراسة الإسلامية سيبني تقويماته ، ويمارس تحليلاته ، ويصل إلى الكثير من تفسيراته من خلال حضور أو غياب النبض الإيماني في نسيج الأدب .. أيضاً من خلال كثافة القيم الإيمانية ، أو تضحّلها ، أو انعدامها في النص الإبداعي ، وهو في تعامله مع الظاهرة على هذا المستوى ، سيبذل جهده من أجل البحث عن الأسباب ، وسيؤثرّ على القيم الإيمانية على مستوى الشكل والمضمون معاً من أجل التقويم النهائي للأدب الذي يدرسه ، ليس على سبيل الفرز الكمي ، وإنما عن طريق الإيغال في إدراك حجم التأثير الإيماني في النشاط الإبداعي لهذا الأدب أو ذاك ، وتبيّن الدوافع الأساسية التي تجعل هذا الأدب يحمل هذه المواصفات أو تلك مما يميزه عن أدب أمة أو بيئة أو عصر آخر .

وعلى سبيل المثال ، فإن دراسة الأدب اليوناني القائم على التعدّدية الوثنية وفق هذا المنهج ، سيصل إلى نتائج مغايرة ، بدرجة أو أخرى ، للنتائج التي تمخّضت عن المناهج الأخرى ، لا سيما إذا تذكرنا حجم البعد الديني في تكون هذا الأدب ، وستنعكس الحالة تماماً لدى التقابل بين المنهجين الإسلامي والمادي (الاجتماعي) ، وهما يدرسان الأدب الإسلامي القائم على التوحيد في عصر راشدي ، أو أموي ، أو عباسي .

إن الرؤية المذهبية وضعت ، ولا تزال ، بأيدي الدارسين صيغ تقويم ، وأدوات عمل تمكنهم من سبرغور الظاهرة الأدبية ، كل من منطلقه المتميز .. أفلا يكون للرؤية الإسلامية الخصبة الغنية ، القدرة على منهج الدارسين منظومة من القيم ، وأدوات العمل ، تمكنهم من دراسة الأدب بما يمنحهم مقاربة أكثر لخصائصه ومميزاته ؟

إن البحث في دور الدين في الظاهرة الأدبية هو بحدّ ذاته ضرورة دراسية ملحّة ، أفلا يكون المنهج الإسلامي ، المنبثق أساساً عن رؤية دينية ، أقدر من سائر المناهج على متابعة هذا الدور ، وتحديد أبعاده ، الأمر الذي يعدّ بحد ذاته مبرراً مقنعاً لتشكل منهج للدراسة الأدبية يعيد الأمر إلى نصابه ، فيضع البعد الديني في مكانه الحق من النشاط الإبداعي ، بعد إذ كادت تطمسه المناهج الأخرى ؟

★★★

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

★★★

نحو تربية الأطفال :

قابل طفلك

[٢/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ أنيس جشتي (بونا)
ترجمة : الأخ يوسف عظيم الصديقي

لذلك نجد أن الإسلام ، قد اهتم اهتماماً بالغاً على إلقاء كلمات التوحيد مجسدة في عبارات الأذان في آذان الوليد القادم إلى الدنيا حديثاً ، ولعل المصلحة المرادة من ذلك ، هو أن يسمع الطفل أول ما يسمعه اسم خالقه والمتصرف في شئون وشئون كافة المخلوقات ، وأن يسمع رسالة رب العباد ، التي بعثها إلى العباد كافة ، والفلاح كل الفلاح لمن أدى حق هذه الرسالة .

بالطبع هذه النداءات الربانية ستجذبه إلى مكامن الفلاح ، والنجاح في كل حين ، ولن تموت نفسه في أية حال .

في حياة أي فرد من الأفراد تكون مرحلة الطفولة أهم من غيرها من المراحل علاوة على المواهب ، التي يكتسبها الطفل في حياته المستقبلية ، يأخذ الطفل كل ما يلزمه لحياته المستقبلية من هذه المرحلة بذاتها ، فرد عمل الطفل تجاه مظاهر الفرح والحزن ، الصحة والسقم ، والحالات الطبيعية ، مما يؤثر في تربية الطفل في هذه المرحلة ، لذلك تستلزم هذه المرحلة ، الحيطة والحذر البالغين .

يبلغ و ينمو الأطفال ، و لو بغير تعليمهم ، و تلقيهم الأصول والمبادئ ، وبغير معاملتهم بالمحبة ، ذكر المؤرخ الهندي محمد حسين آزاد في كتابه : "دربار أكبري" حادثة تاريخية ، لا نعلم مدى صحتها ، يذكر فيها أن الملك المغولي "أكبر" ، سأل حاشيته ورجال بلاطه ، كيف يتعلم الطفل

التحدث ، واستعمال اللغات ؟ فأجاب كل بما يراه الصحيح ، ولكن لم يقتنع أكبر بأي إجابة ، وأمر بجلب أطفال رُضّع إلى البلاط الملكي ، ومرضعات لا يقدرن على التحدث - أبكمات ، وأرفق الأطفال لهؤلاء المرضعات ، وأغلقوا في فناء القصر في الطابق السفلي بعد مرور فترة من الزمن وجد أنهم أي الأطفال ، قد مارسوا واخترعوا لغةً خاليةً من الألفاظ ، والكلمات مقتصرة على الرموز والإشارات .

بعد مرور وانقطاع الفترات الزمنية من حياة الطفل ، ينمو ويزداد حجم كافة أعضائه ، حتى يبلغ الطفل مرحلة النضوج والبلوغ .

ويستثنى من ذلك كرة العين والدماغ .

وأثبتت التجارب العلمية الحديثة أن ٩٠٪ من حجم الدماغ لم يتم استعماله على الوجه الصحيح ، وكذلك أثبتت هذه التجارب أن الأدوية ، والمحاليل الكيميائية التي تستعمل كمعالجات للأمراض النفسية ، إنها لا تستطيع سوى التخفيف من حدتها وشدتها ، أما إزالتها - كلياً - فأمر مستحيل ، إذا أردت أن تجعل الطفل الذي ولد حاملاً درجة من الغباء ، وقلة الفهم أن تجعله فطناً حاد الذكاء ، فهذا أمر غير ممكن .

الأدوية لا تستطيع أن تلعب الدور الذي يؤديه التعليم .

مع أن إخصائي الأمراض العصبية والنفسية منهمكون في اختراع مركب كيميائي "Bio Chemical Assistance" ، والذي يؤدي دوراً في تنشيط الذاكرة عن طريق بروتين معين .

من التجارب العالمية بات هذا الشئ واضحاً للعيان أن الفترة التي تتعقب ولادة الطفل ، والتي تمتد من ٥/أشهر إلى ١٠/أشهر ، هي فترة مهمة بالنسبة للطفل نظراً للنمو في الخلايا العصبية ، وأجزاء الدماغ .

لأن عند ولادة الطفل تكون كافة أعضاء بدنه ضعيفة ، وكذلك أجزاء الدماغ ، فبعد مرور ٥-١٠/أشهر تصبح هذه الأجزاء مع عضلات

البدن مقاومة وقادرة على تحمل العبء ، ولكن هذا لا يعني أن الدماغ بات قادراً على تحمّل عبء التعليم ، والذاكرة الشاقة ، بعد مرور سنتين ونصف يؤدي حليب الأم بمركبه "RNA" الحامض (رائيو نيو كلير) - مادة توليدة تتحكم في البروتين - في تنشيط هذا الدور من تقوية أعضاء البدن ، الغذاء غير الكافي في هذه المرحلة ، قد يؤدي إلى نقص في الخلايا العصبية الدماغية .

في السنة الثانية من عمر الطفل تتلاشى فرص ازدياد خلايا الدماغ ، أجريت تجارب وبحوث متعددة في بلاد وسط إفريقيا ، و وسط أمريكيا في كونها من البلاد التي تعاني من قلة المواد الغذائية ، وتأتي في قائمة البلدان الفقيرة ، أثبتت هذه التجارب ، أن الأطفال الذين لا يتمكنون من الحصول على القدر الكافي من الغذاء يعانون من قلة الفهم ، وضعف في التفكير عند ما يبلغون مرحلة البلوغ .

وفق تجارب وبحوث مكتب (UNESCO) - التابع للأمم المتحدة - ثبت أن عدم الحصول على بروتين "كيلوري" بقدر كاف في المراحل المبكرة من حياة الطفل يؤدي إلى ضعف بدني وعقلي دائمين .

وإذا حصل نقص في توفير البروتين ، فلا يمكن تعويض ذلك النقص في المستقبل ، ولو بتوفير كميات كبيرة من هذا البروتين ، فإذا وجد نقص عام في هذا البروتين في بلد من البلدان ، يحتمل توقف ركب التقدم لهذه البلدة .

ويرافق ذلك ارتفاع نسبة أدوات الأطفال الرضع ، وأطفال المراحل الابتدائية التعليمية ، وغيرهم من الأطفال مع حدوث توقف في النمو الطبيعي ، لهؤلاء الأطفال .

ليس هذا فقط ، بل يحتمل ظهور مظاهر الشيخوخة بسرعة ، والموت قبل العمر الطبيعي ، في البلاد الراقية والحضارية .

"Unesco Report : Learning to be".

التجارب المتعلقة بالنمو المادي للعقل والدماغ هي محيرة ومبهرة للعقول بعد وضعها أمام العيون فيمكن لنا أن نحصل على هذه النتائج .

أ- الأمهات المبتليات بداء الأزياء يحاولن الاجتناب عن رضع أطفالهن ، ويعطينهم الحليب المعلب ، وبذلك فهن يخاطرن بمستقبل هؤلآء الأطفال ، بل بحياتهم أيضاً ، فإن عدوى مادة الحليب والبودرة والقارورة والمصاصة يؤدي إلى معاناة الطفل المرض الدائم .

ب- مع وجود الرغبة والاشتياق إلى ترضيع الأولاد لا تتمكن بعض الأمهات من تحقيق رغباتهن بسبب ما مع وجود الوقت الكافي ، لذلك كسبب انشغالهن بأعمال المكتب ، وتحمل أعباء الوظيفة ، هذا يؤدي إلى حصول أبناء يحملون درجة قليلة من الذكاء ، ويغلب عليهم الغباء ، وقلة الفهم ، وعدم الإدراك الكامل ، وهؤلآء الأطفال هم الذين يسلكون مسالك تسئ إلى سمعة الأسرة والعائلة مع كونه قضية عمل المرأة وتوظيفها وهي قضية بحد ذاتها، فالبيوت التي تشغل فيها النساء الوظائف إلى جانب الرجال لا نجد فيها أي اهتمام على توفير المصارف ، والتقليل من المصارف المنزلية ، بل بالعكس من ذلك نجد أن يزداد الاهتمام على الكماليات ، و أدوات الزخرفة والزينة ، إننا قائمون على النظرية القائلة بـ البيت الواحد الكاسب الواحد .

ج- الشئ الثالث والأهم في هذا السياق ، هي بعث الأطفال بعد مرور سنتين من ولادتهم مباشرة إلى المدارس في المراحل التمهيدية ، وإن كان الآباء يريدون أن يحصلوا على أبناء أذكياء ، لكنهم لا يستطيعون الحصول على ذلك ، وذلك بسبب هذا الاقدام المتسرع ، فالطفل في هذه المرحلة يكون بحاجة إلى عناية ، واهتمام والديه ليس إلى الالتزامات ، والقيود التعليمية .

فخلاياه العصبية تصاب بالضعف و الوهن في مستقبل عمره ،

والسبب يرجع إلى عدم إداء حامض (RNA) وظيفته على الوجه الأكمل ، فتنقطع سلسلة هذه الأحماض ، ومن الوظائف الهامة لهذا الحامض ، هو ترتيب الذاكرة الفورية ، والذاكرة الدائمة ترتيباً مناسباً ، ولا يؤدي هذا الحامض وظيفته على الوجه الأكمل ويصاب الولد بحالة نفسية يمكن الإطلاق عليها "Learning Dis Order Lyness" أي الشلل العلمي .

الشلل العلمي ؛ هو موضوع يستحق البحث والتوضيح على مدة .

ويجب على كل معلم معرفة أسبابه ومقوماته ، ونترك هذا الموضوع الآن ، ونعود إلى اللحظات التي يعيش فيها الطفل مسروراً .

العاملون في مجال التعليم ما زالوا منهمكين في تجاربهم ، ويكون الأطفال الأبرياء ، هم فريسة لتجاربهم ، واختباراتهم التجريبية ، ومن هذه التجارب التي تجري في مجال التعليم هذه الأيام ، هي جعل المدرسة بيتاً .

أي يشعر الطفل الذاهب إلى المدرسة أنه ما زال في بيته ، فلا يشعر بالغربة ، والابتعاد عن بيئة البيت .

فنقول لهؤلآء الإخصائيين لِمَ لا يتم تحويل البيت إلى المدرسة ، فإذا أردن تحويل القليل إلى الكثير ، فأخفقنا في ذلك ، فلن نحصل على الكثير مع ذهاب ، وضياع القليل ، فالقول الأصح هو إبقاء البيت بيتاً ، وإبقاء المدرسة مدرسة ، وأقول شيئاً حسب خبرتي السابقة - ٣٥/سنة تعليمية - إن فرص التعلم هي متوفرة في البيت أكثر من المدرسة .

ففي المدرسة لا يكون الطفل مالكاً لتصرفاته وإراداته ، بل عليه الالتزام بشروط وآداب المدرسة .

مع أنه يتمتع بالاستقلال والحرية الكاملين في بيته ، فهو غير مفيد بتلك الالتزامات النظمية ، التي توجد في المدارس .

ففي البيت يستطيع الطفل أن يلعب بألعابه ، والتي تصدر أصواتاً مزعجة ، مثل المسدس و بإمكانه أن يفرح بحضور والده أو جده مع أنه في

المدرسة ، حين يُسمح له بالتسلية واللعب عليه أن لا يصدر صوتاً .

لا يراد من مصطلح الحرية ترشيح أحد الناخبين في نهاية كل فترة انتخابية ، بل يراد من ذلك إفساح المجال ، أمام العاملين في كل الميادين إلى تحقيق رغباتهم وأمنياتهم المباحة ، ومن تلك المجالات المجال التعليمي ، فالحرية المسموحة للعاملين في هذا المضمار هي تتيح لهم الفرص لتسخير مواهبهم العقلية والذهنية .

إذا أريد من التعليم النمو العقلي للطفل ، و إشعارهم بأقل اللحظات في حياته ، وأكثرها متعة ، فمن الأرجح الأفضل عدم إرساله إلى أية مدرسة أو حضانة ، حتى يبلغ من العمر أربع سنين .

ويجب أن تتاح له الفرصة ، لكي يستطيع أن يستمتع بالحرية في بيئة أهله وأسرته ، وأن يُبعد الابعاد التام عن أي تعليم نظامي يربطه بالقيود والالتزامات ، ولكي يستطيع أن يكشف عن مواهبه الفطرية التي أودعت في نفسه .

في هذه الأيام تتغير الأوضاع بصورة مذهلة ، حتى صرنا تشعر بانقراض ، وانهدام السجون المدرسية ، وبرزتْ الوسائل والإدعاءات ، التي تزعم جعل البيت مدرسة بتوفير وسائل التعليم الذاتي ، وجعل البيت في مصلحة الطفل ، ومركزاً لرغباتهم وأمانيه .

البيت الذي لا يمكن أن يكون بيتاً للأطفال ، فعلى ذلك البيت أن يراجع ، ويحاسب العادات الوراثية ، ومواهبه وعاداته العرفية ، و وسائله المتوافرة ، محاسبة دقيقة .

أجرى قسم التعليم في ولاية "غُجرات" تجربة جديدة وفريدة من نوعها حين بدأت تجربة المدارس المتحركة أو المتنقلة ، والتي هي عبارة عن مدرسين يذهبون إلى بيوت الأطفال المعاقين بأمراض تمنعهم من الحضور

إلى المدرسة ، والاستفادة من ثمار التعليم ، كما يستفيد منها زملاؤهم ورفقاؤهم ، إن هذه التجربة يستفيد منها كثير من الأطفال اليتامى ، والمصابين بضعف عقلي ، وفقر مدقع .

إتيان المدرسة إلى البيت ليس نعمة فقط ، بل هو ابتلاء وامتحان في نفس الوقت .

فإذا سلك الطفل طريق الفرار من البيت أيضاً ، فلا فائدة من البيت أو المدرسة .

لكل طفل حق مكافئ على كل فرد من أفراد المجتمع سواء كانوا من أهل بيته أو جيرانه .

لذلك حان الوقت إلى إعداد فريق من العاملين في مجال التعليم يماثل الفريق الذي ظهر في مجال الطب ، وشغل مهامهم ، ونوطت إليهم الوظائف في المستشفيات والمستوصفات .

وليس من الضروري أن يكون العاملون في مجال التعليم أساتذة دون غيرهم من أصحاب المهن والحرف .

علينا مراجعة ومحاسبة الصور التي رسمها خبراء التعليم محاسبة لا جانبية وموضوعية . يقول جورج لباسيد :

"يَلِد الإنسان قبل موعده"

وحسب وجهة نظر جون كودليد : "يكون الأطفال مختلفي الطبائع ، القدر الذي استطعنا التعرف عليه من مزاجهم ، هو أقل من ذلك الذي هم به متصفون ، في الحقيقة هم مختلفون تماماً لذلك ينكرون ويقاومون أن تزداد مواهبهم ، وتصقل مهاراتهم في نفس الجو والبيئة" .

إذا تمعنا في هذا القول وجدنا أن المدارس تحتوى على أنظمة مكافئة لكافة الطلبة ، وتريد عبر هذه الأنظمة ، والقوانين أن تعامل كافة الطلبة

- باختلاف ميولاتهم ومزاجهم - بأسلوب واحد ، وإذا تمكنت المدارس من التنويع في المناهج ، وأساليب الدراسة ، فلا يسمح لها المجتمع بفعل ذلك ، ففي البلدان الحضارية المتقدمة ، لا يمكن إجراء تلك التجربة ، فما بالك في البلدان الفقيرة أو المتأخرة في سياق التقدم .

لذلك أصبحت الحاجة ماسة إلى تعليم وتلقين الآباء والأمهات الاحتياجات التعليمية التي تختص بمستقبل الطفل ، كما جرتْ العادة إلى تلقين الأمهات آداب التربية والرضاعة .

ولكن وجدنا في أغلب الأحيان أنه لم يلد الطفل ، ولم يفتح عينيه أمام العالم الفسيح إلا ويبدأ السعي إلى تدوين اسمه في أحد سجلات المدرسة .

هذه الطريقة هي ليست حلاً للقضية ، بل في بعض الأحيان تكون باعثاً على الخطر ، وتسبب الآلام والمآزق .

بإدخال الطفل في إحدى المدارس الراقية ، والتي ذاع صيتها لا يمكن الضمان على مستقبله التعليمي .

فليس من الضرورة أن المدرسة التي كانت ممتازة في حق طفل غير طفلك ستلعب دوراً مماثلاً في سيرة ابنك وطفلك و فلذة كبدك .

قبل أربعة عشر قرناً لم نجد في المدينة المنورة أية إدارة أو معهد مختص بالشئون التعليمية ، وتعليم أفراد المجتمع سوى صفة المسجد النبوي .

فكان تعليم الآخرين فريضةً على كل فرد من أفراد ذلك المجتمع السعيد وكلهم بشمول الصحابة والصحابيات تمتد معرفتهم من فنون الحرب والفروسية إلى الأمور المنزلية ، ونجدهم سباقين في تعليم الآخرين ، والتعلم من الآخرين أيضاً .

لم تكن أمهات الصحابة خريجات الجامعات ، وحاملات الشهادات

والوثائق الرسمية ، ولكنهن أنجبن أبناء عقمت الأمم عن الإتيان بمثلهم .

فأبناء كانوا في مستقبلهم فاتحي البلاد والأمصار ، وحكام المدن والأرياف .

اليوم لو سئل أحد هل يريد أن يسير ابنه على نهج أفلاطون ، وسقراط ، أم على درب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ ، وسبطه الخليفة عمر بن عبد العزيز لكان جوابه : حتماً أتمنى أن يسير ابني على نهج المذكورين مؤخراً .

ليس من إمكاننا وقدرتنا إعادة وتقديم الصورة النورانية التي خلفها المجتمع المدني ، ولكن بإمكان كل واحد منا أن يفكر جدياً بالمستقبل التعليمي لطفله .

وأيضاً يجب علينا أن نفكر في مولودنا أو الذي سيفد على بيتنا قريبا ، إذا لم تتمكن من فهمه بنفسك ، فاستعن بالمجتمع ، ولكن مجرد وضع الأيدي فوق الأخرى والتأسف يخلفان آثاراً سيئةً على مستقبل ابنك التعليمي .

والقول بأن الحكومة ، والجهات الرسمية ستتولى شأن ابنك هو في الحقيقة ذنب لا يغفره ابنك ، ولا يقبله العقل السليم ، وهو أسلوب التهرب من المسئولية ، والغدر من أداء المهام المنوطة إليك ، والتي اختارك الله لتحملها من دون سائر المخلوقات .

★★★

"و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"

★★★

دراسات و أبحاث :

الترجمة .. و مشكلاتها

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(جمهورية مصر العربية)

إنّ حاجة أيّ أمة من الأمم إلى الترجمة ، حاجة ماسّة وأكيدة ، وبخاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه ، إذ اتسع مجال الاتصالات بين الشعوب ، وتبع هذا تبادل المنافع بينهم عن طريق الترجمة ، ونقل الآثار العلمية من لغة إلى أخرى ..

ولعل للعرب - قديماً - الفضل في تنبيه الأذهان ، وتفتيح الآذان إلى أهمية الترجمة وفاعليتها ، وذلك بترجماتهم للثقافات الأجنبية من فارسية ، وهندية ، ويونانية ...

وليس من الغريب أن يقال : إن أول حركة خطيرة للترجمة في التاريخ ، إنما ظهرت على أيدي العرب في أواخر العصر الأموي ، ثم انتشرت واسعاً في العصر العباسي ، حيث تناولت ضروباً عديدة من النتاج العقلي ؛ بفضل تشجيع الخلفاء للترجمة ، حتى ليروى أن الخليفة المأمون كان يعطي على الكتاب المترجم وزنه ذهباً ! (١) .

كما أنشأ الخليفة المأمون في بغداد سنة/٨٣٠م معهداً رسمياً للترجمة ،

(١) لمزيد من التفصيل . راجع : الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي : د/علي محمد حسن العماري ، والأستاذ زكي علي سويلم : ص/٦١-٦٢ ، ط/الإدارة العامة للمعاهد الازهرية . سنة/١٣٩٨هـ ، ومجلة "الكويت" ، العدد/٦٠ ، ص/١٤ ، مقال : "تاريخ العلم عند المسلمين" للمؤلف .

مجهزاً بمكتبة ، أطلق عليه اسم : "بيت الحكمة" ، فكان هذا المعهد - من وجوه كثيرة - أهم المعاهد الثقافية التي نشأت بعد الفتح الإسكندري ، والتي أسست في القرن الثالث قبل الميلاد ، وفي حدود سنة/٨٥٦م جدد الخليفة المتوكل مدرسة الترجمة ، ومكتبتها في بغداد ..

وإن كان قد سبق هذه الحركة الواسعة في الترجمة حركات من جانب غير العرب - إلا أنها كانت في المجال السياسي فقط ، كما كان من القياصرة الأكاسرة ؛ إذ كانوا يتخذون في دواوينهم تراجمه ، وكذلك فعل القدماء المصريون والحيثيون ..

غير أن للعرب الفضل في أن جعلوا من الترجمة صناعة ، وعملاً فنياً خطيراً ، حيث بذلوا من أجله جهوداً كبيرةً ، حتى أصبح للترجمة هذا المكان العظيم عند سائر الشعوب !

★ مفهوم الترجمة :

يذكر ابن منظور في اللسان : أن الترجمان والترجمان : المفسر للسان ، وفي حديث هرقل : قال لترجمانه ؛ الترجمان ، بالضم والفتح : هو الذي يترجم الكلام ، أي ينقله من لغة إلى أخرى ، والجمع : التراجم ، التاء والنون زائدتان (١) .

★ عدة المترجم :

الترجمة نظام دقيق ، يحتاج ممن يخوضه أن يتسلح بما يلي :

١- أن يكون قد أعد إعداداً فنياً يناسب المادة التي يتولى ترجمتها ، ولا يكفي للمترجم الذي يمارسها أن يكون ملماً إلماماً جيداً باللغة المنقول عنها ، واللغة المنقول إليها .

(١) ابن منظور : اللسان ، مادة (ترج) : ص/٤٢٦ ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، ط/دار المعارف .

٢- لابد للمترجم أن يكون له الصلاحية التامة من الناحية اللغوية والفنية ، ولكل فن نظامه الخاص في الترجمة .

٣- كل علم من العلوم له جهاز خاص من حيث الأسلوب والمصطلحات ، وطريقة الأداء ، ونحو ذلك من اللوازم التي لابد أن يكون المترجم ملماً بها ، و متمرساً عليها ، قبل أن يعالج ترجمة أي أثر من الآثار (١) .

٤- أن يتسلح المترجم بثقافة واسعة في الناحيتين : اللغة المنقول عنها ، والمنقول إليها .

٥- أن يكون عالماً بدلالات القاموس العادية والشائعة (٢) .

٦- دراية المترجم بموضوع الترجمة ومعرفته بالعالم ، واستخدامه للمنطق السليم ، وقدرته على الفهم السليم للأشياء (٣) .

★ ألوان الترجمة :

وضح لنا مما تقدم : أن الترجمة ظاهرة طبعية ، ترتبت على اختلاف الشعوب والجماعات ، وتجاورها ، واتصال بعضها ببعض ، وهي ظاهرة تزداد قوة و وضوحاً على مر الزمن ، وتطورت في مختلف شكولها وأنواعها على مر القرون ، وتطورت خصائصها بتطور الجماعات البشرية نفسها ، وتنوع نشاطها والظروف التي تحيط بها ، وتدرجت من حال إلى حال ،

(١) د/محمد عوض محمد : فن الترجمة : ص/١٨-١٩ ، ط/قسم البحوث والدراسات الأدبية ، التابع لمعهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، سنة/١٩٦٩م.

(٢) مثل إطلاق كلمة الولد على الرجل عند السعوديين .

(٣) د/علي فرغلي : الذكاء الاصطناعي ، ومعالجة اللغات الطبيعية ، مقال منشور في مجلة : "عالم الفكر" ، مجلة فصلية ، تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية ، المجلد الثامن عشر ، العدد الثالث ، أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر ١٩٨٧م : ص/١٤١ .

شأن كل مظاهر الحياة البشرية .

★ والترجمة منذ كانت وحتى الآن تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : الترجمة الشفوية : ويعتمد عليها تلك الشعوب التي لم تعرف للكتابة سبيلاً ، إذ تستخدم هذا النوع من الترجمة في معاملاتها مع غيرها من الأمم ، ولا يزال هذا اللون قائماً إلى يومنا هذا في كثير من الأقطار ، إذ من المعلوم أن هناك لغات في العالم - لعلها أكثر عدداً من غيرها - لم تعرف الكتابة في أثناء عمرها الطويل ، ولا يزال أصحاب تلك اللغات يمارسون الترجمة الشفوية في تنظيم علاقتهم بجيرانهم .

غير أنه ثمة وظيفة أخرى للترجمة الشفوية ، إذ تستخدم في محاورات الساسة ومفاوضاتهم ، كما تستخدم في الاجتماعات الدولية الكبيرة ، التي يشهدها مئات من الأشخاص من مختلف أنحاء العالم وأصقاعه ، كالاجتماعات الدورية - مثل - رابطة العالم الإسلامي ، أو المنظمات الدولية المتخصصة ..

وقد تطور نظام الترجمة الشفوية في هذه الاجتماعات ، وتطور منها ما يسمى : (الترجمة الفورية) ، حيث يضع كل من الحاضرين سماعة على أذنيه ، يسمع بها الحديث بأي لغة يشاء من اللغات الرسمية ، وهي الآن الفرنسية ، والإنجليزية ، والعربية ، والأسبانية ، والروسية .. فأيا كانت لغة الخطيب ، فإن هناك أشخاصاً يترجمون على الفور ، إلى كل لغة من اللغات المذكورة ..

★ ثانياً : الترجمة التحريرية :

وتعني نقل مفهوم الكلام من لغة إلى أخرى ، نقلاً تحريرياً في أي مجال من المجالات ..

وفرق بين الترجمة التحريرية والشفوية : لأن العبارة الشفوية مهما كان شأنها لا تعدو أن تكون عبارة عابرة ، والترجمان الشفوي قلما يحاسب

على دقة اللفظ وحسن اختياره ، وهو مضطر عادة إلى الإسراع ؛ كيلا يعطل السامع و المتكلم ، أما الذي يترجم تحريرياً ، فإنه عادة لابد له أن يتوخى الدقة في النقل ، حتى تكون الترجمة صورة صادقة بقدر الإمكان .. (١) .

★ نشاطات الترجمة التحديدية :

أ- نشاط ديواني أو مصلحي أو صحفي : إذ أن كثيراً من الهيئات يدخل في صميم عملها أن تتصل بهيئات أجنبية ، و لابد في كلتا الحالتين من الترجمة من لغة إلى أخرى ، ويدخل تحت طي هذا النشاط ، الترجمة المتصلة بحرفة الصحافة ؛ حيث لا تعدو نقل الأنباء الخارجية ، وهذا اللون من الترجمة لا يجد المترجم كبير عناء في ممارسته ، فضلاً عن أنه ينجز بسرعة تكاد تكون آلية ..

ب- نشاط سياسي : ويتناول الرسائل الخطيرة بين أشخاص ذوي خطر من أمثال : الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والزعماء ، وكثيرا ما يتطلب ترجمة هذه المراسلات إذا كانت بلغة غير لغة المرسل إليه ..

ج- نشاط يتناول الآثار العقلية : وهو الذي يتصل بأمر مستقر ثابت على مدى الأيام ؛ ولذلك يجب ويتطلب في إنجازه كثيراً من العناية والتأني ، لأن الترجمة هنا تتناول بعض الآثار العقلية ، تلك الآثار التي يتألف منها التراث الثقافي لكل جيل من الناس ..

هذا الطراز من الترجمة للآثار الفكرية ، هو الطراز الخطير ، حيث إنه يتناول المؤلفات التي ترجع إلى جميع العصور قديمها وحديثها ، والذي

(١) د/محمد عوض محمد : فن الترجمة : ص/١٣-١٥ بتصرف ، ط/قسم البحوث والدراسات الأدبية ، التابع لمعهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، سنة/١٩٦٩ .

يعتبر أهم مظاهر النشاط للمترجمين في وقتنا هذا !

ومع أن ما يكتبه الكتاب ، وما يؤلفه المؤلفون لا يكون دائماً من الآثار الباقية ، والتي تستحق البقاء ، فإن المترجمين لا ينشطون لترجمة أي أثر إلا إذا رئي أنه يستحق البقاء ، ولو إلى حين ..

وترجمة الآثار العقلية يطلق عليها بعض الكتاب : (الترجمة الفنية) ؛ نظراً لأنها تحتاج - بحق - إلى خبير متمرس يقوم بترجمتها وفق نظام معين ؛ فكم من كتاب ضاعت فائدته حين أسندت ترجمته إلى شخص غير خبير بمادة الكتاب ، فلم يستسغه القراء ، ولم يستطع مترجم آخر أن يجازف بترجمته ، لأن الكتاب من الوجهة النظرية قد ترجم فعلاً ، وملأ رفافه المكتبات ، وسيظل في الأغلب الأرجح متبوأ مكانه على تلك الرفاف لا يبرحها ... !

★ أقسام الترجمة الفنية :

إن ترجمة الكتب والمقالات والرسائل ، مع اختلاف موضوعاتها ، قد دعا الكتاب لأن يكونوا شديدي العناية والحرص بهذا الضرب من النشاط ، أسوة بسائر ضروب النشاط الفكري ، ولذا فقد قسموا هذا اللون من الترجمة إلى أقسام ثلاثة ناظرين إلى ناحيتين : الأولى : مادة الكتاب ، والثانية : طريقة الأداء والأسلوب .

★ واضعين في الاعتبار مؤهلات المترجم

في كل قسم من الأقسام الثلاثة :

القسم الأول : ما كانت المادة أهم شئ في الكتاب ، ويجيء الأداء والأسلوب في المرتبة الثانية كالمواد العلمية - مثلاً - من رياضة ، وطبيعة ، وفيزياء ، وهندسة ، وكيمياء ...

وهذا اللون لابد لمن يتصدى لترجمته أن يكون على علم بأصول العلم الذي ينقله وبمصطلحاته في اللغتين : المنقول عنها ، والمنقول إليها .

القسم الثاني : ما كانت مادة الكتاب في المكان الأول ، ونافستها في هذه المكانة : سلامة الأسلوب ، وطريقة الأداء ، ويدخل في هذا الباب : العلوم الاجتماعية ، والفلسفية ، وكتب التاريخ ، والسياسة ، والتشريع ...

و لابد لمن يتصدى لترجمة هذا اللون : أن يكون أسلوبه رصيناً ، سهل التناول ، بعيداً عن التعقيد والإغراب ، وأن يكون ملماً بالموضوع الذي يترجمه إلمام الخبير به المحيط بجميع أطرافه .

القسم الثالث : ما كان جمال الأسلوب ، وحسن الأداء ، وروعة العبارة ، من أخص مميزات الكتابة ، إلى جانب غلبة عنصر الخيال ، والابتكار عليه ، وهذا بالطبع هو العمل الأدبي الذي يشمل الشعر ، والنثر الفني ، والقصصي ، والمسرحيات ، والروايات ، والمقالات الأدبية ..

★ الآثار الأدبية .. والترجمة :

والترجمة الأدبية من أهم الموضوعات جميعاً في الترجمة ، لأن الآثار الأدبية تتبوأ أعلى مكان في الحياة الثقافية ، والتراث الثقافي لكل أمة ؛ لذلك كانت ترجمة الآثار الأدبية أهم وأوسع نشاط في ميدان الترجمة كله ، فهي الترجمة التي لابد للمترجم أن يتخير لها اللفظ ، وأن يعني فيها بجمال العبارة كعنايته بنقل ما اشتملت عليه من المعاني : فالكلام الجميل ، يجب أن ينقل إلى كلام جميل ، وما يحسّه من يقرأ الأصل ، يجب أن يشابهه من يطالع الترجمة ..

لذا كان على القائم بترجمة الآثار الأدبية ، أن يمتثل لما يلي ؛ حتى يأتي بالثمرة المرجوة من ترجمته :

١- أن يكون أديباً راسخ القدم في التأليف الأدبي .

٢- يجب أن يكون ملماً بالأصول السليمة للقيام بعمل الترجمة .

٣- يجب أن يقرأ العمل الأدبي جميعه .

٤- محاولة نقل الآثار والأمثال إلى عبارات أدنى إلى ذلك .

٥- المحافظة على روح النص (١) .

★ ثالثاً : الترجمة الآلية :

ازدادت أهمية الترجمة في السنوات الأخيرة ، واتسع دورها في المنظمات الدولية المختلفة التي تتطلب ترجمة الوثائق الحكومية المقدمة من الحكومات المشتركة بها إلى لغات أخرى ، كما هو ملاحظ في السوق الأوربية المشتركة التي تنفق أكثر من نصف ميزانيتها على الترجمة ، ويحتاج العلماء إلى ترجمة سريعة للتقارير ، ونتائج الأبحاث التي ينشرها أقرانهم بالبلدان الأخرى ، كما تقوم وكالات الاستخبارات للعديد من الدول بترجمة كميات هائلة من الوثائق والمعلومات .

وتجد هذه المنظمات صعوبة في الحصول على المترجمين المؤهلين القادرين على ترجمة هذا الكم الهائل من المواد ، وليس أدل على ندرة المترجمين من قيام هيئة الأمم المتحدة بتعيين مترجمي اللغة العربية ، وتدريبهم على نفقة الأمم المتحدة لعدم توافر المترجم الجيد الذي يمكن أن يمارس عمله فور تعيينه ، وفي ظل عالم تحركه الاقتصاديات يصبح الأمل في أن يقوم الحاسب بالترجمة أربعاً وعشرين ساعة يومياً دون إجازة أو علاوة حلماً يستحق أن تنفق من أجل تحقيقه الأموال ..

ومنذ ظهور الحاسب الرقمي Digital Computer في أواخر الأربعينات فكر علماء الحاسب في الاستفادة من سرعته الفائقة في البحث عن الكلمات وإمكانية تخزين القواميس ثنائية اللغة فيه لعمل برمجيات للترجمة من لغة الأخرى .. (٢) .

(١) المرجع السابق : ص/١٥-١٧ ، ١٩-٣٣ ، فراجعه تجد مزيداً من التفصيل .

(٢) د/علي فرغلي : الذكاء الاصطناعي ، ومعالجة اللغات الطبيعية ، مقال منشور في مجلة : "عالم الفكر" ، ج/١٨، ع/٣، أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر ١٩٨٧م : ص/١٢٩-١٣٠ .

ولقد مرت برمجيات الترجمة الآلية منذ الخمسينات حتى الوقت الحاضر بمراحل تطورات ، نجملها فيما يلي :

★ الجيل الأول : ١٩٤٦-١٩٦٦م :

تركزت المحاولات الأولى في الولايات المتحدة على الترجمة بين اللغة الروسية والإنجليزية ، وكان التصور لدى علماء الحاسب أنه يمكن استخدام طرق حل الشفرات السرية التي اعتمدت على تحليل تكرار الحروف والكلمات في عملية الترجمة الآلية ، وكان القاموس ثنائي اللغة من أهم مكونات برمجيات الترجمة ، وكانت عملية الترجمة تتم على النحو التالي : يدخل النص المطلوب ترجمته إلى الحاسب الذي يقوم بمطالعة كلمات النص كلمة كلمة ، ويبحث عنها في القاموس ، وعندما يجدها يستخرج الكلمة المقابلة لها باللغة الأخرى ، ويضيفها إلى النص المترجم دون أي محاولة لفهم النص ، أو حتى تحليله من الناحية الصرفية ، أو النحوية ، أو الدلالية ، وكان الأمر لا يزيد في حقيقته عن كونه ترجمة حرفية أي كلمة بكلمة ، على أنه في بعض الأحيان كان يأتي بنتائج مشجعة .

فلنتصور - مثلاً - أننا أدخلنا إلى الحاسب أحد القواميس إنجليزي/عربي ، وطلبنا من الحاسب ترجمة الجملة التالية : "Ali Left for Cairo-yesterday" سيبحث الحاسب عن الكلمة الأولى في القاموس ثنائي اللغة الذي سيتضمن بالطبع أسماء الأعلام ، وسيجد أمام كلمة "Ali" اللفظ العربي "علي" فيضع اللفظ العربي على رأس النص المترجم ، ثم يبحث عن الكلمة الثانية ، وهكذا وعندما ينتهي يكون قد كون الجملة التالية : علي غادر إلى القاهرة أمس .

وليس من الصعب إدخال بعض المعلومات إلى الحاسب كوضع الفعل في أول الجملة العربية دائماً ، وبهذا نحصل على الجملة : غادر علي إلى القاهرة أمس .

ونظراً لأن التجارب الأولية قامت على جمل محدودة مثل المثال الذي أعطيناه أعلاه ، فقد تحمس العلماء لإمكانية بناء برامج لترجمة كافة النصوص ، وتدفقت الأموال لتمويل العديد من الأبحاث في هذا المجال .

★ ونستطيع أن نوجز سمات المحاولات الأولى فيما يلي :

١- الاعتماد على القاموس الإلكتروني ثنائي اللغة .

٢- استخدام طرق حل الشفرات السرية .

٣- إعادة ترتيب الكلمات .

٤- اعتبار الكلمة ، هي الوحدة اللغوية الأساسية للترجمة .

٥- عدم النظر في بنية الجملة لتحديد العلاقات النحوية المختلفة بين أجزائها .

٦- كان من أهم المشاكل اللغوية ، هي الكلمات التي تنتمي لأكثر من نوع صرفي "Homographs" .

٧- عدم دراسة تأثير السياق على معاني الكلمات .

٨- لم يكن للتحليل الدلالي دور في برمجيات الترجمة الآلية ، وكانت التوقعات كبيرة جداً ، نوجزها فيما يلي :

١- أن يقوم الحاسب بعمل المترجم .

٢- أن تكون دقة الترجمة بنسبة ٩٥٪ .

٣- سرعة فائقة للآلة .

٤- أن تقوم الآلة بترجمة أي نص سواء كان نصاً علمياً أو أدبياً .

إلا أن العلماء فوجئوا بمدى تعقيد اللغة الإنسانية ، وكم المعلومات الهائل المستخدم في الترجمة ، فاللغة الإنسانية غامضة بطبيعتها ، ومعظم الجمل لها معان مختلفة ، ونحن لا ندرك هذا ؛ لأننا نسمع الجمل في سياق معين ، ونستخدم معرفتنا بالعالم كي نختار تلقائياً المعنى المقصود .

و قد أدرك العلماء في الستينات استحالة قيام الحاسب بعملية

الترجمة في ظل التقنية المتاحة في ذلك الوقت ، ودارت تقارير العلماء ، حول القضايا التالية :

★ الفرضية الأولى : تتطلب الترجمة الجيدة حداً أدنى من فهم النص .

★ الفرضية الثانية : من الصعب جداً أن يقوم الحاسب بفهم النص .

★ النتيجة المنطقية : الترجمة الآلية غير ممكنة .

ومن ثم : صدر قرار أكاديمية البحث العلمي بالولايات المتحدة في عام ١٩٦٦م بعدم جدوى البحث في هذا المجال ، و وقف التمويل !

★ الجيل الثاني : الثمانينات :

ويرى أنه وإن كانت الترجمة الجيدة تتطلب حداً أدنى من فهم النص إلا أنه لم يعد من الصعب الآن أن يقوم الحاسب بفهم النص ، بحيث أصبح من الممكن لدى الحاسب الآلي أن يفهم النصوص اللغوية عن طريق استخدام تقنية الذكاء الاصطناعي .. (١) .

ولقد توصل - مؤخراً - بعض علماء وخبراء الكمبيوتر لاختراع كمبيوتر لا يتعدى حجم حقيبة اليد الصغيرة ، وذكروا أنه يعتبر أول مترجم فوري نقال محمول في اليد ، يقوم بترجمة العديد من الجمل التي يسمعها من لغة معينة إلى عدة لغات .

وأشار هؤلاء العلماء إلى أن هذا الجهاز لا يتعدى وزنه نصف كيلو جرام ، ويعمل بالبطارية ، ويلحق به أشرطة صغيرة في حجم اليد ، وكل شريط مختص بلغتين معينتين يترجم بينهما ، مثل : الإنجليزية والفرنسية ...

تستطيع أن تختار الشريط حسب اللغة التي تريد التعامل معها ، وتضعه داخل الجهاز لتحصل على مترجم فوري رهن إشارتك .. (٢) .

---

(١) المرجع السابق : ص/١٣٠-١٣٢ - بتصرف .

(٢) عفت السلمي : مترجم متحرك يصاحبك في رحلاتك حول العالم ، مقال منشور >>

وقد استخدم في هذا الاختراع علم الذكاء الاصطناعي (١) خاصة في برامج الترجمة ، وهو يعد من أحدث العلوم المستخدمة في الكمبيوتر .

★ مشكلات الترجمة :

أولاً : مشكلات عامة :

١- عدم التناسب بين الفنون المترجمة : فإن هناك إسرافاً في بعض النواحي ، وتقصيراً في بعض العلوم ، ولا شك أننا بحاجة إلى تنسيق جدي تحت إشراف هيئة مختصة ، تعمل على الموازنة بين النتاج المؤلف والمترجم .

٢- الترجمة الحرفية : يحكي أن علماء الاتحاد السوفيتي اهتدوا إلى صنع آلة تتولى الترجمة فما عليك إلا أن تضع الكلام الإنجليزي في ناحية ، فتخرج العبارة الروسية من الجانب الآخر .. وقد أراد زائر إنجليزي أن يختبرها بالمثل الإنجليزي المشهور : "out of sight out of mind" : أي البعيد عن النظر بعيد عن العقل ، فإذا بالآلة الإلكترونية تترجمه : "Invisible Idiot" : أي

>> بمجلة " العربي الصغير"، مجلة شهرية ، تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية ، ع/٢٧ ، السنة الثالثة ، أبريل ١٩٨٨م : ص/٢٨ بتصرف يسير .

(١) يختلف علماء الذكاء الاصطناعي في تعريفهم لهذا العلم ، فينظر "ونستون" إليه كأحد العلوم التطبيقية ، ويحدد الهدف الرئيسي للبحث في علم الذكاء الاصطناعي بأنه جعل الحاسبات الآلية أكثر ذكاءً ونفعاً للإنسان ، ويرى أن الهدف الثانوي ، هو فهم الذكاء الإنساني ، بينما ينظر "شارنياك" ، و "ماك درموت" إلى الذكاء الاصطناعي باعتباره علماً أساسياً يسعى لتفسير ظاهرة إنسانية ، هي ظاهرة قدرات العقل البشري ، ويحددان هدف البحث الرئيسي في علم الذكاء الاصطناعي بأنه يسعى لدراسة القدرات العقلية الإنسانية من خلال برامج للحاسب الآلي تحاكي هذه القدرات .

د/علي فرغلي : الذكاء الاصطناعي ، ومعالجة اللغات الطبيعية ، مقال منشور في مجلة : "عالم الفكر" ، ج/١٨ ، ع/٣ ، أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر ١٩٨٧م : ص/١٢٠ .

معتوه لا يرى ؟! ومع أننا نضحك من هذه الترجمة ، إلا أنها ترجمة حرفية في غاية الدقة ، فالشئ إذا كان بعيداً عن العين ، فهو لا يرى ، كما أن الشئ البعيد عن العقل من معانيه : فقد الإدراك ، فهو إذن معتوه !

ولو أردنا أن نترجم - وبخاصة الآثار الأدبية - بهذا الأسلوب الحرفي ، لأدى ذلك - لا محالة - إلى قلب المفهوم في كثير من الأحيان ، فالأمانة في الترجمة - إذن - هي الأمانة على المعنى أكثر مما هي أمانة على اللفظ .

غير أنه من الممكن استعمال تلك الآلة الحرفية في ترجمة الحقائق العلمية ، وبذلك تعطي نتائج باهرة !

فضلاً عن أنه يمكن استخدام تلك الآلات في ترجمة المحادثات وغيرها بعد برمجتها بعلم الذكاء الاصطناعي ، وبذلك تعطي المطلوب ، كما وضحنا - آنفاً - عند الحديث عن الترجمة الآلية ، وآخر التطورات التي وصلت إليها ...

٣- إسناد الأمر إلى غير أهله : من الغريب أننا لا نطالب البناء أو النجار - مثلاً - بأن يصنع لنا ثوباً نلبسه ، أو حذاء نحتذيه ، ولكننا مع ذلك ربما كلفنا صحفياً من الدرجة المتوسطة أن يترجم كتاباً في الفلسفة أو الأدب اعتماداً على معرفته اللغوية ؟!! (١) .

٤- الترجمة غير الأمينة : ونجد ذلك في ترجمات كثيرة من الكتب ، حيث يقوم المترجم بمسخ صورة الكتاب عن طريق عدم نقله الكلام ، كما هو في الأصل المنقول عنه ، بل وإضافة أشياء في صلب الترجمة لم يذكرها صاحب الكتاب ! ونرى ذلك بوضوح في ترجمة د/عبد الرحمن أيوب لكتاب : "اللغة بين الفرد والمجتمع : أوتوجسبرسن" ، حيث مصّر الأمثلة

(١) د/علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة : ص/٢٤٢-٢٤٣ ، ط/دار نهضة مصر .

الإنجليزية الواردة في الكتاب ، بل وجعلها بالعامية ، فضلاً عن أنه شوه صورة الكتاب بعدم النقل عما جاء في المصدر الأساسي ؟!

٥- وجود كلمات في لغات غير موجودة في العربية : وهنا يتعين على المترجم أن يترجم ترجمة جملية .

٦- عدم فهم دلالات الألفاظ الشائعة : وبذلك يجب على المترجم أن يكون عالماً بدلالات القاموس ، وكذا الدلالات الشائعة ، حتى لا يقع فيما وقع فيه مترجم : (كامب ديفيد) حين ترجم لفظ "الخصم" بمعنى : "العدو"، والمفروض أن يترجمها بمعنى : "الطرف الآخر" ؛ حيث إن الموقف يستدعي ذلك .

٧- عدم سلامة اللغة : فكثير من المترجمين لا يحسنون الكتابة بلغة الضاد ، فنراهم يخترعون ، وينحتون كلمات لم نسمع بها ، ولم تعرفها اللغة العربية في كل مراحلها التاريخية ، وكل هذا بسبب التأثر المباشر بالأساليب المترجمة ، دون النظر إلى الأصول والقواعد التي تفرضها طبيعة اللغة العربية .

★ وندرج هنا بعضاً من الترجمات الخاطئة ، التي نتجت بسبب جهل المترجمين بلغتهم الكريمة :

أ- يقولون : "انتظرتك لساعتين" ، وهذا خطأ فاللام لا تدخل على الظرف ، وهذا الخطأ ناتج عن الترجمة الفاسدة لجملة : "I waited you for two hours" ، والصواب : انتظرتك ساعتين .

ب- يقولون : "كلما عمل ، كلما ربح" ، وهذا خطأ ، فلا يجوز تكرار الظرف الشرطي ، وهذا التركيب المخطوء جاء من الترجمة المخطوءة للجملة الإنجليزية : "The more he works, The more he earns" ، والجملة الفرنسية : "plus il travaille, plus il gagne" ، والصواب : كلما عمل ، ربح ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ﴾ .

[آل عمران/٣٧]

ج- يقولون : "في الوقت ذاته" ، وهذا خطأ ؛ لأن (ذات) ليست من ألفاظ التوكيد المعنوي عند النحاة العرب ، وحصل نتيجة ترجمته خطأ عن الجملة الإنجليزية : "At The same time" ، والصواب : في الوقت نفسه .

هذا ؛ وهناك أساليب تفوح منها رائحة العجمة واللحن ، نحو : "كم هو جميل؟" ، والصواب : ما أجملـه؟" أو "جميلة هي الحياة" ، والصواب : "الحياة جميلة" ، إذ لا يصح الابتداء بالنكرة (١) .

★ ثانياً : إشكالية الترجمة الآلية :

١- لا يمكن أن تكون الكلمة ، هي وحدة الترجمة الأساسية ، بل لابد للترجمة أن تكون على مستوى الجملة والفقرة ، فكثير من الكلمات تتحدد معانيها من خلال ما يرد قبلها وبعدها من كلمات ، ولم يؤد الاعتماد على القاموس ثنائي اللغة إلى حل مشكلة الترجمة إطلاقاً ، فإذا أدخلنا قاموس المورد إلى الحاسب ، لكي تستخدمه مع برمجيات الترجمة الآلية لترجمة الجملة التالية : while driving down route 72, John swerved and hit a tree.

فلو أخذت البرمجة تبحث عن معاني الكلمات في القاموس لوجدت أمام كلمة يسيرة ، مثل : "hit" ما لا يقل عن ١٢/معنى ، والإشكالية هنا في كيفية اختيار المعنى المرادف لهذه الكلمة ، كما وردت في هذه الجملة بالذات ، والسؤال المطروح هنا ، هو : ما هي القوانين التي يمكن أن يستبعد الحاسب على أساسها الأحد عشر معنى الأخرى لكلمة : "hit" ؟ وما هي المعلومات التي تحتاج لإدخالها إلى الحاسب ليقوم باختيار المعنى الصحيح من بين البدائل المتاحة ؟ (٢) .

---

(١) عباس هاني الجراخ : الترجمة الفاسدة وأثرها في سلامة اللغة العربية ، كلمة منشورة في مجلة : "الفيصل" ، ع/١٣٦ ، شوال ١٤٠٨هـ : ص/١١٢-١١٣ - بتصرف .

(٢) د/علي فرغلي : الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية ، مقال منشور في مجلة "عالم الفكر" ج/١٨ ، ع/٣ : ص/١٣٢ .

والجواب فيما نرى : أنه ليس أمامنا إلا نظام الذكاء الاصطناعي ، فعن طريقه يحل كثير من تلك المشكلات .

٢- يجب أن تحاكي برمجيات الترجمة الآلية عملية الترجمة ، كما يقوم بها الإنسان ، ويتطلب هذا فهم عملية الترجمة الإنسانية فهماً واضحاً وسليماً (١) .

٣- يعتمد التقدم في الترجمة الآلية على تقدم علماء اللغة في التحليل الدلالي ، وخلق نماذج صورية للدلالة يمكن للحاسب أن يستخدمها ، وأدرك علماء اللغة جيداً صعوبة ، ودقة البحث في هذا المجال ، كما يدركون أن التقدم فيه يسير ببطء شديد .

٤- لا يقتصر فهم النصوص اللغوية على المعنى الدلالي ، فالمترجم يعتمد على فهمه للحياة ، ومعلوماته عن العالم ، بل ويستخدم قدرته على فهم المحاجاة ، وتتبع المناقشات ، والوصول إلى الاستنتاجات السليمة ، ولهذا فإن تقدم الذكاء الاصطناعي مجال تمثيل المعرفة "Knowledge-Representation" ، وبرامج الاستنباط "Inference Engines" من برمجيات الترجمة الآلية .. (٢) .

★ توصيات : مما سبق نرى أنه من الواجب على المسئولين في العالم العربي ، تكثيف الجهود ، ولم الشمل والتنسيق ؛ نظراً لمكانة الترجمة الضرورية في عصرنا الذي نعيش فيه ؛ و لذا يجب أن يفكر جدياً فيما يلي :

أ- التوسع في إقامة معاهد لدراسة وممارسة فن الترجمة على أيدي أساتذة متخصصين في هذا المجال .

---

(١) المرجع السابق : ص/١٣٤ ، فراجعه تجد مزيداً من التفصيل .

(٢) المرجع السابق : ص/١٣٤-١٣٥ .

ب- إنشاء مكتب لتسجيل كل ما يترجم في كل بلد عربي ، منسقاً بين الفنون المترجمة .

ج- إقامة هيئات علمية خاصة في كل قطر عربي ، تقوم بترجمة أمهات الكتب العلمية القديمة ، و المعاصرة في مختلف اللغات ، والتخصصات (١) .

د- توجيه الدعوة إلى جميع المترجمين إلى الاهتمام - أولاً وأخيراً - بسلامة لغة القرآن الكريم ، نحواً وصرفاً ورسماً ، وعدم الأخذ بالأساليب ، والتراكيب التي تشوه جمالها وعظمتها (٢) .

هـ- ينبغي تشجيع الأبحاث في مجال الترجمة الآلية في العالم العربي (٣) .

وبذلك يمكن أن تؤدي الترجمة رسالتها في الحياة على أكمل وجه ، وبأفضل صورة ، ومن الله العون والتوفيق .

★★★

وصلى الله تعالى على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه وسلم

★★★

(١) نقلاً عن : توصيات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لمزيد من التفصيل ، انظر : أخبار التراث العربي (نشرة يصدرها معهد المخطوطات العربية في الكويت) ، العدد السابع والعشرون ، محرم-صفر ١٤٠٧هـ .

(٢) عباس هاني الجراخ : الترجمة الفاسدة وأثرها في سلامة اللغة العربية ، (الفيصل) ، العدد/١٣٦ ، شوال ١٤٠٨هـ : ص/١١٣ .

(٣) د/علي فرغلي : الذكاء الاصطناعي ، ومعالجة اللغات الطبيعية ، مجلة : "عالم الفكر"، عدد/أكتوبر- ديسمبر ١٩٨٧م : ص/١٤٢ .

أسلوب سماحة العلامة الندوي
في تدبر القرآن الكريم

بقلم : الأستاذ عبد الرحمن الملي الندوي
رئيس تحرير مجلة "النور" - جامعة آكل كوا ، مهاراشترا (الهند)

دائرة خدمات العلماء الربانيين ، والمفسرين الراسخين ، والدعاة المخلصين للقرآن الكريم لواسعة جداً ، لا تحد ولا تقيد ، ولا يأتي على خدماتهم الحصر .

اختار بعض منهم خدمة تحقيق لغات القرآن الكريم ، وبعضهم خدموه في مجال الإعراب ، وكثير منهم ذهبوا إلى كشف إعجازه وبلاغته ، وطائفة منهم ركزوا جلّ عنايتهم على ذكر الخصائص العلمية ، وفوائد تلك الثمار التي وردت في القرآن العظيم ، وكثير من العلماء اختاروا طريق تدريس قواعد التجويد والقراءة ، وخدموا القرآن من هذه الناحية ، فكل من هؤلاء العلماء الجهابذة ، بذل جهده في مجالات عديدة لخدمة القرآن الكريم ، ولكن رغم هذه الخدمات المشكورة ، والمساعي المكثفة الجليلة ما نفدت عجائب كتاب الله عزّوجل ، ولا تنتهي إلى الأبد .

إن إعجاز القرآن الكريم مستور في ترتيب آياته ، وتنسيق سوره ، ونظمها ، وتوجد الرابطة اللطيفة القوية المتينة بين الآيات والسور ، والأسلوب الذي اختاره القرآن الكريم في نظمه وترتيبه ، إنما هو إعجازه الساحر لمعارضي القرآن الكريم ، والإنسان لن يقدر على تقليد هذا الأسلوب الساحر المعجز .

إن قول الله تعالى عن تبيين معاني كتابه و حفظه من كل عيب أو

حدث : ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ ، و ﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر * وإنا له لحافظون ﴾ ليس أمراً غريباً ، وذلك لأن التدابير الغيبية للحفاظ عليه ، وإثبات إعجازه وبلاغته ، إنما هي مقدرة من جانب الله عزّوجل .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى جماعة من المدبرين ، الماهرين ، المؤفقين للتدبر في آياته وسوره ، الذين يستنبطون من الآيات القرآنية ، الأحكام الفقهية والمسائل الدينية ، يتأملون في دقائق كلامه المعجز ، فمنهم الجرجاني ، والرازي ، والكشاف ، والباقلاني ، المهائمي ، والتهانوي ، هؤلاء خدموا القرآن الكريم من النواحي العديدة ، من ناحية البلاغة والفصاحة ، ودقائق الإعجاز والنحو ، والإعراب ، واللغات ، وفروق اللهجات ، فما تركوا ناحية إلا واستخدموها ، فمن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ويجعله خادماً لكتابه ، وسنة رسوله ﷺ ، فالعلامة سماحة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، كان واحداً من أولئك الأفذاذ السعداء الذين شرفهم الله بهذه الخدمة الجليلة المباركة .

إن الشيخ الندوي رحمه الله كان من أولئك الصالحين ، والأتقياء الغيورين الزاهدين ، الذين حقرت في عيونهم الدنيا ومتاعها ، وزخارفها البراقة ، حتى إن الشيخ رحمه الله ، ما نظر طرفة عين إلى الجوائز الرسمية ، وقد أكرمته الحكومات والدول بالجوائز التقديرية لخدماته العلمية ، والدعوية ، والفكرية ، مهما كانت قيمتها ، ولكن الشئ الذي كان يحبه سماحة العلامة الندوي رحمه الله حباً جمّاً ، بل كان يعشقه عشقاً حقيقياً ، هو كتاب الله الخالد : ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه * ولا من خلفه * تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

كلما رأيناه في مناسبة علمية أو حفلة سياسية ، أو في اجتماع ديني ، رأيناه مستغرقاً في التدبر في كتاب الله عزّوجل ، متفكراً في آياته ، والتأمل في معانيها ، كأن القرآن الكريم يخاطبه ، ويحرّك عواطفه ، يقول العالم الكبير ،

الفقيه البصير ، والكاتب القدير ، سعادة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي عن حب العلامة الندوي ، وعشقه للقرآن الكريم :

"أما أنه رجل قرآني ، فلأن القرآن الكريم ، هو مصدره الأول ، منه يستمد ، وعليه يعتمد ، وبه يأنس ، يتعبد بتلاوته ، ويتلذذ بقراءته ، ويعيش في رحابه ، متجاوباً مع آياته ، متدبراً لمعانيه ، يستخرج منه اللآلي ، والجواهر ، يعرضها في محاضراته ، وكتبه ورسائله ، بعقل متفكر ، وقلب متأثر ، يشهد بذلك كله من استمع إليه محاضراً أو قرأ كتبه الكبيرة أو الصغيرة ، فهو رجل القرآن حقاً" . [البعث الإسلامي ، عدد ممتاز/٢٦]

انظروا إلى هذا القول الذي يملؤه الإخلاص والإنصاف عن تدبر سماحة العلامة الندوي رحمه الله للقرآن الكريم وحبه به ، وشغفه بتلاوة آياته ، إن الشيخ قد عرض يواقيت القرآن وجواهره إلى الأمة الإسلامية في صورة علمية ، حتى إن جميع كتبه لمملوءة بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، يستشهد بها ويجعلها عنواناً لخطاباته ، وإلقاء كلماته ، في الاحتفالات العلمية ، والمناسبات الدعوية ، والندوات الأدبية .

يقول العلامة رحمه الله : أنا تلميذ للقرآن الكريم ، والحقيقة أن خطاباتي ، وكتبي ، وأفكاري كلها ، فيض من كلام الله عزّوجل ، ومصدر دراستي المحدودة ، إنما هو القرآن الكريم . [الإفادات القرآنية : ص/١٩]

إن دراسة العلامة الندوي رحمه الله تعالى كان عميقاً كعمق البحر المواج ، وفهمه كان واسعاً وغائراً ، وسبب ذلك أن علاقته بالأدب العربي ، وبلاغة اللغة العربية وفصاحتها ، واختلاف لهجاتها ، وفروق لغاتها كانت وثيقة وراسخة ، ودقائق اللغة العربية وخصائصها لا تُعد ولا تُحصى ، لا سيما لغة القرآن الكريم ، فلها خصائص ومميزات تفوق اللغات الأخرى العادية ، إن لغة القرآن الكريم لعامرة باللغات ، والألفاظ ، والكنايات ، البلاغية ، حتى نجد الألفاظ المختلفة لمعنى واحد ، وتعابير متنوعة ، مثلاً :

الليل ، النهار ، فلهما ألفاظ عديدة وردت في القرآن الكريم ، مثلاً : البكرة ، والأصيل ، والضحى ، والغسق ، والفجر ، والصبح ، والغد ، والعشية ، والظهيرة ، والعصر ، وهناك أمثلة غير قليلة ، فالأديب الماهر ، واللغوي المحقق ، والكاتب القدير ، هو الذي يراعى هذه الدقائق اللغوية والبلاغية في ترجمة القرآن الكريم ، وتفسيره ، وتعيين معنى الآية ، فالشيخ الندوي رحمه الله كان عظيماً ومتميزاً في هذه الصفة ، وكانت له بصيرة عميقة في فهم كتاب الله ، وتفسير آياته ، وكشف حقائقه ، والتدبر في بلاغة القرآن الكريم وإعجازه .

هنا تقدم بعض الأمثلة على سبيل المثال من تدبره رحمه الله في القرآن الكريم ، وحسن تفسيره لآيات الله عزّوجل .

يقول العلامة الندوي رحمه الله ، حول بلاغة هذه الآية الكريمة : ﴿ و لكن كونوا ربّانيين ﴾ إن فيها محركاً ومحرضاً للعلماء والدعاة على أن يكونوا علماء ربانيين ، ومعناها كونوا علماء ربانيين ممن يربون الأمة الإسلامية الحائرة الضالة ، تربية دينية صالحة ، ويرشدونها إلى الصراط المستقيم ، ويهدونها بأمر الله إلى طريق الوحدانية الخالصة ، ولا تكونوا علماء سوء ، يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويملأون بطونهم بملذات الحياة الدنيوية ، وزخارفها البراقة ، فعلى العلماء أن ينظروا إلى الأمة المحمدية التائهة التي ذهبت سدى وراء الحضارات الغربية المادية اللماعة ، فكونوا علماء ربانيين الراسخين في العلم والعمل ، والورع والتقوى ، والإخلاص ، والأخلاق ، وعلّموا الإنسانية التائهة الحائرة طريق الرشد والهداية الربانية ، وذلك بتزكية الأخلاق من أرجاس الحضارة الوثنية ، كما يلزمهم أن يقرؤا كتاب الله آناء الليل ، وآناء النهار ، ويتدبروا آياته ، إذ لا يكون العالم عالماً حتى يقرأ كتاب الله ، متدبراً في معانيه و حقائقه ومعارفه ، فعلى العالم الديني أن يستفيد من جواهر كتاب الله ، ويُفيد خلائقه . [الإفادات القرآنية : ص/٢٧٥]

وكذلك يقول الإمام الشيخ الندوي رحمه الله عن أهمية المدارس الإسلامية ، وذكرها في القرآن الكريم ومسئولية خريجيها نحو الدعوة الإسلامية ، الخالصة من الشوائب والمنكرات والضلالات ، يقول العلامة الندوي رحمه الله في ضوء هذه الآية الفذة الجامعة : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ ، يقول : لو قيل لي أو سألني أحد عن ذكر المدارس الدينية في القرآن الكريم ، وعن ذكر مسئولياتها ، و وظائفها الدعوية ، ونشاطاتها التبليغية ، لأقول بكل حزم وجزم ، وثقة واعتماد ، بأن هذه الآية المذكورة ، تفيدنا نحن العلماء المسلمين بأن خروج جميع المسلمين في وقت واحد لطلب العلم ، وفهم المسائل الفقهية والاجتماعية والدينية ، لا يمكن أبداً ، فلماذا لا تخرج جماعة من المسلمين إلى المدارس الدينية ، والجامعات الإسلامية للحصول على العلم الديني ، وبالتالي إنقاذ الأمة الإسلامية من أوحال الشرك والضلال ، ومن فساد العقائد الباطلة المنحرفة ، ومن سموم الحضارة الغربية اللادينية ، وزخارفها الظاهرة ، مع مقاومة الحركات الهدامة اليهودية والنصرانية ، والدعوات الباطلة ، ومن الفتن المتجددة المعاصرة .

هذه هي وظائف المدارس الدينية ، ومسئولية خريجيها ، بل هي وظائف جميع الحركات الإسلامية التي تعتز بانتمائها إلى الإسلام ، وإلى العقيدة التوحيدية الخالصة ، قد ذكر العلامة الندوي رحمه الله في ضوء هذه الآية الكريمة ، أهمية المدارس الدينية ، ومسئولية العاملين فيها من العلماء ، وكشف لهم حقيقة العلم القرآني ، والسنة النبوية المطهرة ، فهي بصيرة قرآنية لسماحة العلامة الشيخ الندوي رحمه الله فاق بها بين أقرانه ومعاصريه - رضي الله عنه وأرضاه .

★★★

صور و أوضاع :

الثوابت والمتغيرات في منطق الحضاريين

الأستاذ واضح رشيد الندوي

كان المجتمع الإنساني في سائر العصور ، مقيداً بثوابت عُرف بها، وخُص بها ، وكانت هذه الثوابت غير قابلة للتغيير ، كالعفاف ، وكرامة النفس والصدق والوفاء والإيثار ، التي كان الإنسان يحافظ عليها ، ويفاخر بها ، فكان يحتمل أي إساءة إلى ذاته ، وما يتنافى مع الغيرة ، والشهامة ، و الوفاء والصدق ، وسمو النفس وعدت هذه الشيم من شعار الإنسان وسمته ، التي تميزه عن الحيوان .

وقامت الديانات بتهذيب هذه الثوابت ، وتنقيتها من شوائب حب الذات المفرط ، والكبر ، والنخوة ، والعصبية السلبية ، لكيلا تقف هذه التصورات الذاتية في سبيل بناء المجتمع ، ودعت جميع الأديان إلى الإيثار ، والتواضع مع الغيرة وكرامة النفس ، وظل الحياء ، والعفاف ، من المثل المشتركة الثابتة في سائر الأديان ، والنواميس الخلقية ، ففي الأقوال المأثورة ، إذا ذهب الحياء ؛ فافعل ما شئت ، ومن تخلى عن الحياء اتهم بالخلاعة والمجون وحتى في مجتمعات الجاهلية .

وقد ركز دعاة الحضارة الحديثة على هدم هذه المثل واختيار ما ينافيها لأن نظرية تطورهم لا تقبل الثوابت ، فكل شئ في نظرهم قابل للتغيير ، فلا جمال ولا قبح ثابت في نظرهم ، بل يعيّن إنسان كل مجتمع في كل عصر ، ما هو صالح له ، وما هو غير صالح حسب تصوره ، فالصالح في عصر ، أو في مجتمع غير صالح في عصر آخر ، أو مجتمع آخر .

يعتقد دعاة الجمهورية ، أن رأى الإنسان ورغبته هي مصدر القانون وينكر دعاة الاشتراكية جميع القيم الثابتة ، ودعاة الحداثة إلى رفض كل ما هو قديم ، حتى الأعراف الاجتماعية والالتزامات الخلقية ، فكل ما هو متوارث ومقبول في المجتمع مرفوض ، ويطابق ذلك تفكيرهم ، إنهم يقولون : إن الإنسان هو مصدر كل قانون ، وله حق سنّ أي قانون ، وإنهم يقررون الإطار العام الذي توضع بموجب تصوره العام القوانين ، فلا يمكن سن قانون يسمح بمخالفة مصلحة البلاد ، ولا بالعمل ضد سياسة الدولة ، أو مخالفة القوانين التي ينص عليها دستورهم الوضعي ، وكل من يخالف هذه القوانين يقدم للمحاكمة ، ويعاقب ، إلا أن أعضاء البرلمان يخولون بسلطات التعديل في القانون ، ويحدث مثل هذه التعديلات في قوانين البلدان الديمقراطية .

وقد اتسعت دائرة التعديل في هذا العصر اتساعاً يغطى ما هو من الثوابت في التصور الإنساني ، فأجريت التعديلات في قوانين عدة بلدان أوربية في صدد الخمر ، والقمار ، والعلاقات الزوجية الموروثة ، فأبيح ما كان حراماً وغير مقبول في العصور الماضية ، ويدور فكر واضعي القانون ، ويسايرهم في ذلك رجال الدين في المجتمع الأوربي ، أن كل عمل شائع تقبل عليه النفوس ، إذا كانت في سبيله عقبات قانونية ، يستحق أن يستباح بسن قانون جديد ، لكيلا يضطر أحد إلى اتباع ما تاباه نفسه أو ما يخالف مصلحته البشرية .

وفي ضوء هذا المنطق يصبح الخير ، شراً ، والشر خيراً ، ولقبول الأديان في أوربا متابعة الحضارة يسرع رجال الدين إلى اعتبار هذا العمل الشايع مهما خالف الفكر الديني ، مباحاً دينياً أيضاً ، كما هو مباح قانونياً .

ويلقى الضوء على هذا الاتجاه في منح الأعمال والتصرفات الشائنة الصبغة القانونية ، التقرير الذي نشرته مجلة "إكونا مست" عن البغاء ، فيقول : إن الحكومة البريطانية تخطئ في اتخاذ تدابير قاسية ضد تجارة الجنس ويجب أن تمنحها الصيغة القانونية بدلاً من السيطرة عليها ، ويقول

الكاتب : إن البغاء ليس بعمل طيب ، إنه يحدث اضطراباً في حياة من يعيش في ذلك المجتمع ، إنه لا يصلح لمن يمارسه صحّياً ، ويقع رجال البوليس في موقف حرج ، لأن إجراءاتهم للسيطرة عليه تواجه الخيبة مطلقاً، وذلك من الأسباب التي تدعو إلى أن تؤيد الحكومة البريطانية القومية الزعماء السياسيين الذين يطالبون بسن قوانين تغض النظر عن هذه المهنة .

ويقول التقرير: توجد في العالم عدة أنواع من القوانين في صدد البغاء ، بين التطرف ، والتسامح ، ففي "نيدرلاند" هذه المهنة مسموح بها قانونياً ، وفي الدول الإسلامية قوانين شديدة إلى حد الإعدام ، أما الطريق البريطاني فهو معتدل ، ويمكن أن يعتبر غامضاً ، دفع المال للجنس ، أو ممارسته لكسب المال ليس بعمل غير قانوني .

إن أساس الفكر الحضاري الحديث أساس فيه متناقضات كثيرة ، وتظهر هذه المتناقضات في التطبيق ، فالغرب الذي يدعو إلى حرية الرأي ، وحرية العمل ، وحرية الكسب ، في بلدانه ، يتبع سياسة سلب الحرية بجميع أنواعها في البلدان الأخرى كذلك موقفه إزاء الدين ، موقف متناقض ، فهو عند ما يسعى إلى نشر المسيحية في العالم ، وتسهم المؤسسات الاقتصادية في بلدانه في تمويل التنصير، ونشر شبكات الإرساليات ، وإنشاء المدارس التبشيرية ، والجمعيات الخيرية حاملة للشعارات المسيحية ، و تساعد الكتاب على نشر الكتب في نقد الأديان الأخرى ، وتشويه المعتقدات ، والحضارات الأخرى ، لا يعتبر هذا العمل عملاً رجعياً ، ومخالفاً للتصور الليبرالي ، ولكن العمل الإسلامي والجمعيات الإسلامية ، ودعوة المسلمين إلى اتباع التعاليم الإسلامية ، والمثل الخلقية يعتبر عملاً رجعياً ، بل أكثر من ذلك إرهاباً، إن هذا التناقض في الفكر والتطبيق ، تناقض متعمد ، وليس بسهو ، إنه متبع بإرادة ، وفي هذا المجال يقف الغرب في صف الأصوليين المتطرفين .

إن الليبرالية التي تدعو إلى الإباحية ، وعدم التدخل في الشئون الشخصية ، وعدم إكراه أحد على قبول مبدأ ، وعدم فرض عمل باعتباره

خيراً ، وعدم نبذ عمل باعتبارأنه شر خلقياً ، لا تبرر موقف الغرب إلى الدعوات والمعتقدات الأخرى المتبعة في العالم الخارجي .

إن هذه الليبرالية تقتضى أن يترك دعاة الخير إلى العمل بما يعتبرون من أعمال الخير ، وترك ما يعتبرونه من أعمال الشر حسب فكرهم واعتقادهم ، وأن لا يتخذ أي عمل للتدخل في شئونهم الداخلية ، فإن الغرب يدعو إلى الحرية الفردية حرية مطلقة ، وعدم وضع أي حظر على نشاط أحد ، ومنهج حياة أحد ، وهو يمارس الحرية في اتباع ما يريد اتباعه ، واتخاذ منهج الحياة الذي يعتبره خيراً له ، أو يترك ما لا تقبله عقليته ، ولا يحق له أن يفرض ما يتصوره من الخير والصالح ، على من يعتبره غير صالح له .

لا شك أن الغرب لا يعتبر شيئاً من الثوابت ، غير محاربة الإسلام ، ومحاربة قيم الخير الثابتة ، ولا يريد أن يتقيد بشئ في الحياة الشخصية ، والحياة القومية ، وإنما يريد الحرية الكاملة في السلوك ومذاهب الأخلاق ، فالظلم والاعتداء ، والبذاءة ، والرذيلة ، والرحمة ، والعطف ، والمحبة ، والأدب ، والسمو ، لها مفاهيم مقررة ، ولها اعتبارات ، فلا يقال للمعتدي ، أنه أهل الفضل والعطف ، ولا لسيئ الأخلاق والرذيل أنه أهل الشرق ، وأنه مؤدب ، وكذلك هناك تصورات ثابتة إزاء مواقف الإنسان في الحياة وتعامله ، وخلقه بين الناس ، ولكن الغرب المادي الذي يدعو إلى التحرر من سائر التقيدات ، والالتزامات ، لا يعترف ولا يقر هذه الثوابت ، فكيف يمكن التعامل معه ، التعامل مع أي إنسان لا أسس ثابتة ، ومعايير مقبولة لدية ، وإذا كان فريق يتقيد بتصورات ، والفريق الثاني يخالف هذه التصورات ، فكيف يمكن التوصل إلى اتفاق ، وإذا كان فريق لا يتقيد بتصورات ثابتة ، وفريق آخر يتقيد بتصورات ثابتة ، كيف يمكن اللقاء والتفاهم بينهما .

هذه هي العقبة الكبرى في التعامل مع رجال الفكر في أوربا ، والحكام فيها ، والقادة السياسيين ، وبدون التغلب على هذه العقبة يصعب التفاهم .

بيان صحفي من وزارة المالية والاقتصاد الوطني (المملكة العربية السعودية) :

دور المملكة العربية السعودية
في مساندة الشعب الفلسطيني

يمثل وقوف المملكة العربية السعودية إلى جانب الشعب الفلسطيني في محنته ، وفي نضاله من أجل استرداد حقوقه المشروعة أحد المبادئ الثابتة لسياسة المملكة منذ توحيدها على يد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ، وقد ترجم هذا المبدأ إلى مبادرات عمل ، ودعم في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعلى مختلف الأصعدة المحلية ، والإقليمية ، والدولية ، فكان الدعم السعودي دون حدود ، ففي مجال الدعم المالي والاقتصادي ، قدمت حكومة المملكة الكثير من مساعدات حكومية وشعبية للفلسطينيين ، تجاوزت حتى الآن مبلغ (٨ر٩٠٠) مليون ريال ، كان منها مبلغ (٢ر١٩٧ر٠٨٤ر٦٣١) مليارين ومائة و سبعة و تسعين مليون ، و أربعة وثمانين ألف وستمائة و واحد وثلاثين ريال ، يمثل المساعدات التي تقرر تقديمها بعد مؤتمر مدريد ، ومن أبرزها مبلغ (١ر١٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠) مليار ومائة وخمسة وعشرين مليون ريال ، ما يعادل (٣٠٠) ثلاثمائة مليون دولار أمريكي ، يمثل تبرعات المملكة المعلنة في المؤتمرات الدولية لدعم السلطة الفلسطينية ، ويتم صرفها بواسطة الصندوق السعودي للتنمية على مشاريع إغاثية تنفذ بواسطة هيئات دولية مثل البنك الإسلامي للتنمية ، وكذلك صرف جزء منها لدعم الموازنة الفلسطينية .

واستمراراً لوقوف المملكة العربية السعودية مع الشعب الفلسطيني ودعماً لنضاله وصموده في انتفاضته الأخيرة ، فقد كانت المملكة السباقة في

تقديم الدعم ، والمؤازرة للأخوة في فلسطين ، وكان من ذلك أن تبنى مؤتمر القمة العربي الطارئ المنعقد في القاهرة في أكتوبر ٢٠٠٠م مقترح صاحب السمو الملكي الأمير/ عبد الله بن عبد العزيز ، ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء بإنشاء صندوق انتفاضة القدس بموارد قدرها ٢٠٠/مليون دولار (حصة المملكة منها ٥٠/مليون دولار) ، ويهدف للإنفاق على عوائل ، وأسر شهداء الانتفاضة ، ولتعليم أبنائهم ، وتأهيل الجرحى والمصابين ، وصندوق الأقصى بموارد قدرها ٨٠٠/مليون دولار (حصة المملكة منها ٢٠٠/مليون دولار) تخصص لتمويل مشاريع تحافظ على الهوية العربية والإسلامية للقدس ، ولتمكين الاقتصاد الفلسطيني من تطوير قدراته ، وفك الارتباط بالاقتصاد الإسرائيلي ، ويقوم البنك الإسلامي للتنمية بماله من تجربة وخبرة على إدارة هذين الصندوقين ، وقد تم تحويل مبلغ ١٣٠/مليون دولار من حصة المملكة في موارد الصندوقين إلى البنك الإسلامي للتنمية ، وقد قام البنك باعتماد ، وصرف بعض المبالغ لأغراض متعددة ، منها : برنامج كفالة أسرة الشهيد ، وبرنامج الرعاية التعليمية لأسر الشهداء ، وبرنامج تأهيل الجرحى والمصابين ، وتدريب أسر الشهداء ، ودعم جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ، وتجهيز المستشفيات ، والمؤسسات العلاجية ، وترميم وإعادة بناء المنازل المتضررة في فلسطين ، وبرنامج المساعدة العاجلة لطلبة الجامعات الفلسطينية بالإضافة إلى اعتماد مبالغ لعدد من المشاريع التنموية في فلسطين ، وقررت الجهة المشرفة على الصندوقين مؤخراً الاستجابة لطلب السلطة الفلسطينية بتقديم قرض حسن بمبلغ ستين مليون دولار ، ومنحه بمبلغ عشرة ملايين دولار لوزارة الصحة الفلسطينية .

كما شمل الدعم المالي السعودي للشعب الفلسطيني في محنته الأخيرة على مساعدات متنوعة على المستوى الثنائي المباشر ، ومن ذلك :

★ تحويل مبلغ ٣٠/مليون دولار إلى السلطة الفلسطينية .
★ تحويل مبلغ ١٠/مليون دولار للسلطة الفلسطينية في شهر فبراير ٢٠٠١م .
★ التبرع بعشرين سيارة إسعاف .
★ مواد طبية وإسعافات أولية ، وأجهزة طبية ، وأدوية بقيمة ١٣ر٥٠/مليون ريال .

★ أدوية بقيمة ٢٥ر١١/مليون ريال .

★ إرسال طائرات طبية مع أطقمها الطبية لنقل ١٠٥/حالة من المصابين الفلسطينيين ، ومعالجتها في مستشفيات المملكة .

وإضافة للدعم الحكومي ، فقد وجه خادم الحرمين الشريفين (حفظه الله) بفتح الباب للتبرعات الشعبية ، لكي تساهم في دعمها لنضال الشعب الفلسطيني ، حيث تجاوب الشعب السعودي تجاوباً لا محدوداً منطلقاً بذلك من شعوره بروابط الأخوة العربية والإسلامية مع الشعب الفلسطيني .

وقد بلغت التبرعات النقدية حتى الآن أكثر من مائتين وأربعين مليون ريال إضافة إلى التبرعات العينية ، مثل السيارات ، وسيارات الإسعاف ، والعقارات ، والمجوهرات ، ومواد طبية ، ولا زالت التبرعات تتوالى على اللجنة المشكلة لجمع التبرعات بإشراف صاحب السمو الملكي وزير الداخلية ، وقد قامت اللجنة بإرسال بعض سيارات الإسعاف ، والمواد الطبية ، كما تم تخصيص عشرين ألف ريال مساعدة لكل من أسر شهداء الانتفاضة ، وتم تحويل ١٢٤/مليون ريال لصالح المحتاجين من عوائل الشهداء والجرحى ، وغيرهم .

وامتداداً لمواقف المملكة العربية السعودية الداعمة لنضال الشعب الفلسطيني الشقيق ، فقد عملت المملكة عالمها من حضور في المؤسسات المالية الإقليمية والدولية على دعم ، وتبني ما تتقدم به السلطة الفلسطينية من مطالب لتنمية ، وتطوير الاقتصاد الفلسطيني ، وعلى مستوى الدعم الثنائي للاقتصاد الفلسطيني ، فإن المملكة تعفي المنتجات الفلسطينية ، وذلك قبل قرار القمة الطارئة ، وبذلك منحت المنتجات الفلسطينية ميزة مكنتها من التواجد في أكبر اقتصاد عربي مما يعد دعماً مهماً يسهم في تطوير القدرات الذاتية للاقتصاد الفلسطيني .

★★★

إصدارات جديدة :

١- رسول الأخلاق والإنسانية

قلم التحرير (س.أ)

تلقينا كتاب : "رسول الأخلاق والإنسانية" لسعادة الأستاذ الكبير الدكتور عبد الله عباس الندوي ، المستشار التعليمي لندوة العلماء ، والأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقاً ، بعثها إلينا فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمي ، مؤسس ومدير "دار العلوم سبيل السلام" في مدينة "حيدرآباد" الهند ، كهدية علمية قيمة .

والكتاب في الواقع مجموعة سبع محاضرات في السيرة النبوية ، ألقاها سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله عباس الندوي في "حيدرآباد" على طلب من فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمي ، وتحت إدارته ، حول عناوين مختلفة :

فالمحاضرة الأولى بعنوان : بعثة الأنبياء ، تكميل للربوبية الإلهية .

والثانية : توجيهات الأسوة الحسنة في الحياة العائلية .

والثالثة : رسول الأخلاق والإنسانية .

والرابعة : رسول الإنسانية ، رسول حياة جديدة .

والخامسة : سيرة النبي الكريم ﷺ ، أساس لإصلاح المجتمع .

والسادسة : نماذج مشرقة لبناء السيرة في حياة رسول الإنسانية ﷺ

والسابعة : الحلقة الثانية من العنوان نفسه .

إن هذه المحاضرات ذات قيمة علمية ، وتاريخية كبيرة ، وضعها المؤلف الجليل باللغة الأردية في ضوء الوثائق التاريخية والعلمية ، ولذلك فإنها تعتبر مرجعاً تاريخياً علمياً في السيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام ، ومما يشرف ندوة العلماء منذ أول يومها أن رجالها العلماء ركزوا على موضوع السيرة ، وقدموا حول ذلك دراسات قيمة من النواحي المختلفة ، وهذا الكتاب زيادة مهمة في هذه القائمة ، وسوف لا يكون خافياً على قرائنا الكرام أن علامة الندوة الكبير الدكتور السيد سليمان الندوي (رحمه الله) ، ألقى ٨/محاضرات

حول السيرة النبوية في مدراس في ريعان شبابه ، وهي تعرف بخطبات مدراس ، ولها أهمية كبيرة في أوساط العلم والدين والتاريخ الإسلامي ، بالإضافة إلى ما قام به من عمل موسوعي كبير في مجال إتمام سيرة النبي الحبيب ﷺ في ثمانية مجلدات ضخمة ، ذلك العمل الذي كان قد بدأه أستاذه الجليل العلامة شبلي النعماني ، ولكن وافاه الأجل ، فلم يتمكن من استكماله .

٢- الإعلام الغربي وآثاره

أهدى إلينا هذا الكتاب الذي ألفه أخونا الكريم فضيلة الأستاذ نذر الحفيظ الندوي ، أستاذ بكلية اللغة العربية وآدابها ، ومدير المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، بجامعة ندوة العلماء ، وهو كتاب في موضوع شيق جديد ، يفي بحاجة الساعة ، ويزود القراء ، بمعلومات حديثة في الموضوع ، وتقنيات جديدة تبنّاها الإعلام الغربي تحقيقاً لمتطلبات النظام العالمي الجديد ، الذي تطور أخيراً ، وتسمى بالعولمة ، تلك النظرة الاحتوائية للنظام العالمي في مجال الاقتصاد ، والسياسة .

أهمية الكتاب تتجلى بمجرد الاطلاع على العناوين البارزة التي تحتوى عليها الأبواب المذكورة أدناه :

الباب الأول : خلفية تاريخية للإعلام الغربي .
الباب الثاني : التطلعات اليهودية نحو دور الإعلام .
الباب الثالث : صورة المسلمين على الشاشة العالمية .
الباب الرابع : غزو الإعلام الغربي على العالم العربي .
الباب الخامس : الإعلام المندي على أثر الإعلام الغربي .
الباب السادس : الآثار المضادة السلبية للتلفاز .
الباب السابع : تحليل علمي وفني لوسائل الإعلام .
الباب الثامن : الإعلام الإسلامي ، نظرية وتطبيق .
الباب التاسع : ﴿ والله مُتمُّ نوره * ولَوْ كَرِهَ الكافرُوْن ﴾ .

والكتاب بمواده العلمية والفنية زيادة قيمة في موضوع الإعلام يحتوي على معلومات جديدة ، حول الإعلام الغربي ، وهو جدير بالاقتناء والمطالعة ، وتزويد المكتبات العامة ، والخاصة ، بهذا الكتاب المهم ، وخاصة في أوساط المدارس ، والجامعات ، ومراكز العلوم ، والمعارف ، كما أنه جدير بالترجمة إلى اللغة العربية ، حتى يتم نفعه في العالم العربي والإسلامي ، والمؤلف الكريم يستحق الشكر والثناء من جميع الجهات ، فجزاه الله كل خير على هذه التحفة العلمية الغالية .

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء
ص.ب. ٩٣، لكناؤ (الهند)
هاتف : ٧٨٨١٦٦_٧٨٧٢٥٠
رقم الفاكس : ٠٠٩١_٥٢٢_٧٨٧٣١٠

ALBAAS-EL-ISLAMI
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P.O.Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 787250-788166
Fax : 0091-522-787310

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٥/عاماً بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السادس والأربعين - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .
بالعنوان التالي :
مكتب **"البعث الإسلامي"**
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ - **مؤسسة الصحافة والنشر**
ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)